النفي والإثبات

في شريعة أهل الإيمان

بقلم

الشيخ/ محمد على محمد إمام

تقديم أصحاب الفضيلة

فضيلة الدكتور/ عبد الغني القاسمي

وفضيلة الدكتور/ خليل أحمد صالح

وفضيلة الدكتور/ محمود زاهي القضاة

وفضيلة الدكتور/ بشار شريف

وفضيلة الدكتور/ محمود أحمد مروح

وفضيلة الدكتور/ رضوان سليمان عبيدات

فضيلة الدكتور/ وسام محمود جبر الطيطي

وفضيلة الشيخ/ توفيق محمد فيضال

وفضيلة الشيخ/ غلام رسول منجلي

وفضيلة الشيخ/ محمد بن البشير وقادي السُّوفِي

دار الكتب والوثائق المصرية

كتاب

النفي والإثبات
في شريعة أهل الإيمان

بقلم

الشيخ/ محمد على محمد إمام
كفر ميت العز _ ميت غمر _ دقهلية
جمهورية مصر العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

ـ أهدي كتابي النفي والإثبات في شريعة أهل الإيمان:

- إلى مشايخنا وعلمائنا في مصر وجميع بلدان العالم جزاهم الله عنا كل خير.
- إلى كل الخارجين في سبيل الله على وجه المعمورة.
- إلى كل الدعاة إلى الله من خطباء ووعاظ ومعلمين.
- إلى المدرسين وطلاب العلم العاملين.
- إلى الآباء والأمهات المهتمين بإحياء الدين ونشره في العالم كله.
- إلى الشباب المسلم الحريص على نشر دينه، وإحياء سنة نبيه.
- إلى كل من يحب الله ورسوله.
- إلى كل مسلم يهمه أمر دينه ودنياه وآخرته.
- إلى كل مؤمن بالله واليوم الآخر.
- إلى كل طالبي الحق. (المؤلف)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الدكتور / عبد الغني القاسمي

(حفظه الله تعالى)

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي وعد عباده بالإمامة والتمكين بعد الصبر و اليقين { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ }(١)، ولا يستقر اليقين في القلب ألا بعد النفي والإثبات والتخلية والتحلية و نصلي ونسلم على رسوله الكريم الذي كان يعلم أصحابه اليقين كما كان يعلمهم القرآن الكريم وعلى آله وأصحابه الذين هزوا قصور كسرى والروم بقوة الإيمان واليقين، فمكن الله لهم في الأرض كما وعدهم في كتابه المبين أما بعد:

فقد أهداني الأخ المكرم الشيخ محمد إمام كتابه الموسوم:(النفي والإثبات في شريعة أهل الإيمان) وبعد مطالعتي له مرتين الأولى متصفحا والثانية متأملا فألفيته قد رتبه ترتيبا بديعا يتناسب وحال القلب إقبالا و إدبارا، واستدل لكل صغيرة وكبيرة بما حضره من نصوص الوحيين وكلام

---

(١) سورة السجدة – الآية ٢٤.

أهل العلم من كتب التفسير والتاريخ والحديث وشروحه، مما أعطى مصداقية للكتاب وزاده بهاءً.

والمتأمل في المكتبة الاسلامية المعاصرة قل ما يسقط نظره على سفر مستقل في باب اليقين والتوكل، رغم أن كل العلوم تجف إذا جف القلب من اليقين، بل تصبح الأعمال التعبدية خالية من الروح إذا فرغ القلب من اليقين ونور الايمان، فكم نحن بحاجة لتخلية هذه القلوب عما سوى الله تعالى وتحليتها بنور الإيمان واليقين الذي من خلاله تصلح الأعمال ثم تصلح الأحول ويكتب الله لنا التمكين كما كتبه للصحابة الكرام .

فأيها القارئ الكريم لهذا السفر تمعن تفضلا لتلك المعاني المبثوثة فيه تملأ قلبك حبا لله وتعلقا به ولا يسعنا في هذه الأسطر إلا أن نتقدم بالشكر للشيخ المكرم محمد علي محمد إمام على جهوده في نشر العلم وخاصة بما يصلح القلوب والبيوت والأسر فهي قواعد الإصلاح فلا يستقيم السقف إلا بعد ثبوت الأساس هذا ونسأل الله العلي الكبير أن يبارك في هذا الكتاب وفي صاحبه وينفع به أهل القبلة ويجعله له ذخرا { يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ }(١).

سبحانك اللهم وبحمد أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د. عبد الغني القاسمي(الجزائري)

تخصص في الحديث وعلومه

(١) سورة الصافات – الآيتان ٨٨، ٨٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الدكتور/ خليل أحمد صالح

(حفظه الله تعالى)

الحمد لله العلي العظيم، والصلاة والسلام على رسوله النبي الكريم وآله وصحبه أجمعين الذين فازوا منه بحظ عظيم. أما بعد..

ولقد طالعت كتاب " النفي والإثبات في شريعة أهل الإيمان " الذي ألفه أخي في الله، ـ الشيخ محمد علي محمد إمام ـ من البداية إلى النهاية، فأدركت أنه مفيد ونافع جداً لنا جميعا، حيث إني لما بدأت مطالعته فما استعطت تركها في الوسط، بل قرأته إلى النهاية.

فهذا دليل على مدى إخلاص أخي في الله " الشيخ محمد علي محمد إمام ـ حفظه الله تعالى ـ في إخراج هذا الكتاب.

ولقد حاول أخي في الله في كتابه هذا: توضيح مفهوم معنى الكلمة الطيبة، والتوكل مفهوما صحيحا، حيث إنه ـ حفظه الله تعالى ـ لم يكتف في بيان مفهومه بمجرد الأقوال فحسب، بل أيدها بكلام الله ـ عز وجل ـ وبكلام حبيبه ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا هو عين الشريعة.

ثم كتب مفصلا حول جهد الأنبياء ـ عليه الصلاة والسلام ـ وحول جهد فرعون.. وذكر أن جهد فرعون هو تغيير الأحوال بالأسباب.. أما جهد الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فهو تغيير الأحوال بالإيمان والأعمال الصالحة، واستدل على كلامه بالآيات القرآنية.

وتنسيقه أيضا كان ممتازاً حيث إنه ـ حفظه الله ورعاه ـ أولا :قام بدراسة يقين الكلمة الطيبة، فبين معنى الكلمة الطيبة، ثم بين مقاصدها، ثم ذكر طريق إصلاح اليقين في القلب، وكيف يمكن أن يتغير اليقين من المخلوق إلى الخالق، ومن الأسباب والأشياء إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ومن الدنيا إلى الآخرة. فجاء في هذا الباب بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال العلماء والحكماء.

والأمر الذي دعاني إلى أن أطالع هذا الكتاب هو أولا: إخلاص أخي في الله في تأليف هذا الكتاب، وثانيا: أنه ـ حفظه الله ـ قام بأكبر جهد في إخراج هذا الكتاب، وفي هذا الشكل، حيث إنه ـ حفظه الله تعالى ـ ذكر فيه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال المشايخ والحكماء حسب المواضيع، وهذا العمل عادة ينقص أكثر المؤلفين في تأليفاتهم، لكن الأخ في الله قد صب جهده وتركيزه على هذه النقطة المهمة.

فهذا ما جعلني وأجبرني على مطالعة هذا الكتاب بأكمله كلمة كلمة، وعبارة عبارة، وفقرة فقرة.

فلا أبالغ في كلامي بل وأقول: إنني استفدت من هذا الكتاب استفادة عظيمة، فلذا أنصح جميع الإخوة بمطالعة هذا الكتاب حتى لا يقع أحدنا في مفهوم خاطئ لمعنى اليقين ولمفهوم التوكل على الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

وأسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يتقبل هذا الجهد العظيم، وأن يجعله في ميزان حسنات أخينا في الله، الشيخ محمد علي محمد إمام ـ يوم القيامة، وأن يجعل هذا الكتاب نافعا ومفيدا للأمة الإسلامية. آمين.

الدكتور/ خليل أحمد صالح
الأستاذ المساعد
جامعة الأردو الفيدرالية / قسم اللغة العربية
ـ كراتشي ـ باكستان
٢٠١٩/ ٩/٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الدكتور/ محمود زاهي القضاة (حفظه الله تعالى)

الحمد لله رب الأرض والسموات، وعد المؤمنين بالحسنات والجنّات، ووعد الكافرين بالنار ذي الزّفرات، والذي تفرد بالأسماء والصفات، والذي حكم على الخلائق بالممات ، والذي أعجز الوجود بالآيات البيّنات، والصلاة والسلام على نبيٍّ الرّحمة والنّعمة المُهداة ، وعلى آله وأصحابه الثقات .

وبعد : لقد استمتعت كثيراً أثناء قراءتي لكتاب النفي والإثبات في شريعة أهل الإيمان ، والذي خطّهُ قلم المؤلف والشيخ الداعية ـ محمد علي محمد امام ـ ، والذي قدمه للقراء بأسلوب سهل وممتع ومدعّم بأدلة شاملة ومحيطةٍ من نصوص الكتاب والسنَّة ، فجزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين ونفع الله بعلمه .

ومما لا شك فيه أن القلوب هي موطن النفي والإثبات في الإيمان ، فالمؤمن بالله تعالى يخلو قلبهُ من كل معبود سوى الله تعالى ليستقر في قلبه لا إله إلا الله ولا معبود بحق إلاّ الله ولا رازق إلاّ الله ولا محيي ولا مميت إلاّ الله ولا رافع ولا

خافض إلاّ الله ولا معز ولا مذل إلاّ الله وإنه: { هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }(١).

ولا بد من استعمال أسلوب تربوي عظيم للذات وهو التخلية ثم التحلية؛ فينظف العبد المؤمن قلبه من الصفات الذميمة والمعاصي والذنوب ثم يحليه بالصفات الحميدة والأخلاق الحسنة ويمتثلها سلوكاً وتطبيقاً في حياته، فيكون بذلك قد نقت وصفت سريرته وحسنت سيرته، يقول الله تعالى: { قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا }(٢)، وقال الله تعالى: { قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ }(٣)، أي طهر نفسه وقلبه من الأخلاق الرذيلة ثم زكاها وطيّبها بالأخلاق الفاضلة واستقام على أمر وعبادة ربه، يقول الله تعالى: { وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ }(٤).

والتوبة إلى الله توبةً نصوحاً، هي نفي وتخلية القلب من كل العقائد الفاسدة والذنوب والآثام، ثم هي تحلية والتزام بعقيدة التوحيد والأخلاق الإسلامية الحميدة، يقول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا }(٥)، ويقول الله تعالى: { إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ

---

(١) سورة الحشر – الآية ٢٤.
(٢) سورة الشمس – الآيتان ٩ ، ١٠.
(٣) سورة الأعلى – الآية ١٤.
(٤) سورة الأعلى – الآية ١٥.
(٥) سورة التحريم – الآية ٨.

أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }(١)، فبالتوبة إلى الله تسمو النفس ويطمئن القلب ويستقيم السلوك وتترجم الأخلاق على الجوارح .

وقد أوضح فضيلة الكاتب الشيخ الداعية ـ محمد علي محمد امام ـ كيفية النفي والتخلية، والإثبات والتحلية، مستشهداً بنصوص قرآنية ونبوية وبقصص قرآني ومن السيرة النبوية العطرة، فالكتاب غنيّ بالمعلومات والإيمانيات مما يجعل القارئ لا يمل ولا تسأم نفسه أثناء قراءته، وهذا الأسلوب الرائع في الكتاب والإحاطة والإجادة ليس غريباً على فضيلته .

لا حرمنا الله من علمه وجهده الدعوي سائلين الله تعالى أن يثقل بذلك موازينه وأن يجمعنا وإيّاه على حوض نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

،، والحمد لله رب العالمين ،،

د. محمود زاهي القضاة

مفتي وواعظ بالأردن

---

(١) سورة البقرة – الآية ١٦٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الدكتور/ بشار شريف (حفظه الله تعالى)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد:

فإن الحديث عن التوكل على الله واليقين به لهو من أدق الحديث، إذ تراوح فيه المسلمون بين إفراط وتفريط، وبين اعتماد مطلق على الأسباب وكأنها كل شيء، وبين إهمال مطلق لها وكأنها لا شيء.

ولذا كان هذا الكتاب((كتاب النفي والإثبات في شريعة أهل الإيمان)) ينفي القدرة عن أي شيء إلا بإذن الله، ويثبت القدرة في كل شيء لله _ سبحانه _ وحده، مع توضيح أن الأخذ بالأسباب لا يتنافى مع التوكل، إذ كيف ينافيه والله تعالى يقول: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾(١)؟.

وكيف ينافيه والنبي(ﷺ) يقول:" اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ " (٢)؟.

---

(١) سورة لأنفال – من الآية ٦٠.

٢) سنن الترمذي» كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم» باب منه(٢٥١٧)، التوكل على الله لابن أبي الدنيا» أعقلها وأتوكل، أم أطلقها وأتوكل؟ قال: أعقلها وتوكل– رقم الحديث: ١١.

بل إن الأخذ بالأسباب عبادة ومتطلب سابق لعبادة التوكل، فإن الله تعالى يقول :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا ﴾(١).

وقد أحسن الشيخ محمد على إمام (حفظه الله) في توضيح المسألة في هذا الكتاب الماتع، وجزاه الله خيرا على جهده، وعلى حسن ظنه بي لكتابة تقديم له، سائلا الله(عز وجل) أن يجعل هذا الجهد في ميزان حسناته.

،، والحمد لله رب العالمين ،،

د. بشار شريف

عميد كلية الآداب والإنسانيات

في الجامعة الأمريكية للعلوم الإنسانية

وأستاذ مشارك في الجامعة الإسلامية بتركيا

عضو رابطة علماء الأردن

الثلاثاء ٢٨/ ٤/ ٢٠٢٠م

الموافق ٥ من شهر رمضان المعظم ١٤٤١ هـ

(١) سورة النساء – من الآية ٧١.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الدكتور / محمود أحمد مروّح

(حفظه الله تعالى)

الحمد لله حمد الشاكرين، وصلاة وسلاماً دائمين على أفضل المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد شرفت بالاطلاع على كتاب(النفي والإثبات في شريعة أهل الإيمان) لفضيلة الشيخ محمد على محمد إمام نفع الله به وبعلمه.

لقد اختصر الشيخ في كتابه هذا ركناً أصيلاً من أركان الإيمان وهو الإيمان بالله عز وجل ملقياً الضوء على جانب مهم من هذا الركن وهو الإيمان بأسماء الله وصفاته، وما يحقق هذا المطلب من نفي وإثبات، وما يرتبط به من الجوانب العملية في حياة المسلم، وكيفية جعل معاني الأسماء والصفات في التصرفات والأقوال، فربنا عز جل يقول: { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا } (١)، وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال: " إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ "، إذا كيف ندعو الله

(١) سورة الأعراف ـ الآية ١٨٠.

بأسمائه الحسنى وكيف نحصيها لندخل بها الجنة، إنه الفهم الصحيح والتطبيق القويم لمعاني الصفات، فما وجب إثباته لله تعالى ونفيه عنه عز وجل، كان من الواجبات لكمال الإيمان والبعد عن الشرك، وإذا شرح الله صدرك وأحصيت أسماء ربك الحسنى حفظًا وفهمًا وعملاً ودعاءً؛ فقد أحصيت العلوم كلها، يقول ابن القيم: العِلْمُ بأَسْمَائِه تَبَارَكَ وَتَعَالَى وإحْصَاؤُها أَصْلٌ لِسَائِرِ العُلُومِ(١) قال تعالى: { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ }(٢).

ومن أراد أن يعرف كمال إيمانه أو نقصانه فليعرض تصرفاته على معاني أسماء الله وصفاته، فهل توكلنا على الله حق التوكل، ووثقنا به حق اليقين، وفهمنا أن الله عز وجل هو المهيمن المسيطر، وأن الأمر لله من قبل ومن بعد، وأن قدرته سبحانه في خلقه وفي الكون مطلقة منزهة عن أي نقص، وأن قدراتنا في هذا الكون منقوصة محدودة ، فنحن نقدر ونسمع ونبصر، ولكن الله هو القادر وهو السميع البصير بكمال الصفات وجلالها، فما سمعنا ولا بصرنا كسمع الله وبصره، وما رحمتنا كرحمته، فإن فهمنا هذا الأمر وتركنا التعلق بما دون الله من بشر ومال وظواهر كونية، وجعلنا التعلق به وحده سبحانه إذاً نكون عندها فهمنا مراد الله في قوله: (فادعوه بها)، وفهمنا مراده صلى الله عليه وسلم بقوله: (من أحصاها).

---

(١)انظر: كتاب ابن القيم بدائع الفوائد (١/ ١٦٣)

(٢) سورة محمد _ الآية ١٩.

وفي الختام نسأله تعالى أن يجعلنا ممن عرف الله عز وجل بصفاته ووجده في حياته، فهذا دأب الصالحين حيث كان قولهم بقلوب مؤمنة متضرعين إلى الله يتساءلون (إلهي ماذا وجد من فقدك وماذا فقد من وجدك)، ما أجملها من كلمات تضيء لنا الدرب. والحمد لله رب العالمين.

أخوكم الدكتور/ محمود أحمد مروّح
أستاذ مناهج التربية الإسلامية وأساليب تدريسها
كلية العلوم التربوية جامعة الزرقاء - الأردن
في ٢٠٢٠/٣/٢١م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الدكتور/ رضوان سليمان عبيدات

(حفظه الله تعالى)

الحمد للهّ الذي خلق العباد ورحمهم، فقدّر الأسباب تيسيرا لحياتهم، وجعل الأمر أولا وآخرا بيده طمأنينة لقلوبهم، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب إرشادا لناسكهم، وتنبيها لشاردهم، وأصلي وأسلم وأبارك على خير خلقه، ومصطفاه من عباده سيدنا وحبيبنا محمد بن عبدالله، وبعد :

كانت الدعوة إلى اللهّ تعالى ولا تزال الوسيلة المثلى للتذكير بالحق، والقيام بواجب نشره على أوسع نطاق يمكن لقدرة الداعية أن تبلغه، كما وأنها خير الأعمال لتوظيف ما أنعم اللهّ به على عباده المؤمنين من نعمة العلم والصحة والقدرة والوقت .

وتشكل الدعوة إلى اللهّ تعالى ركيزة أساسية في حياة المسلم؛ فهي خير ما يجري على لسانه من الأقوال، قال تعالى:{ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِّ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}(١).

---

١) سورة فصلت _ الآية ٣٣.

كما وأنها بقية الأعمال التي تحفظ بها الأمة من العذاب، فعَنْ حُذيفةَ، عن النَّبيِّ (ﷺ) قَالَ: " والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بالْمَعْرُوفِ، ولَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهَّ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلا يُسْتَجابُ لَكُم" رواه الترمذي وَقالَ : حديثٌ حسنٌ .

وحتى تؤتي الدعوة إلى اللهّ أُكلها في هداية الناس إلى الحق، فلا بد أن تنضبط بأُطُرٍ من العلم والأدب والحكمة، وخير العلم وأعلاه علم التوحيد ، فهو لُبُّ الرسالة، وقلب الدعوة، وقد أحسن فضيلة الأخ محمد علي محمد إمام في كتابه الدعوي الموسم بـ "النفي والإثبات في شريعة أهل الإيمان" في اختياره من مفردات علم العقيدة ما يناسب الدعوة إلى اللهّ تعالى وقد وُفِّق لذلك إذ اختار النفي والإثبات وأثرهما في نجاح الداعية، وضبط غاية الدعوة ومقصدها في تخلية نفوس المدعوين من كل ما يضاد الحق، وتمهيدا لتحليتها بالإخلاص واليقين.

وقد أجاد وأفاد فضيلته في عرض لطائف النفي والإثبات في ثنائية جميلة تشد القارئ وتجذبه، موظفا النصوص الشرعية في تجلية مظاهر ومواطن النفي والإثبات، وقد أتبعها بما يجليها من أقوال العلماء وشروحهم بالقدر الذي يضع بين يدي القارئ تصورا شاملا ووافيا عن أثر حسن اختيار المضمون في نجاح العمل الدعوي .

والله جل جلاله أسأل أن يجعل عمله خالصا لله تعالى، ونافعا للأخوة العاملين في مجال الدعوة إلى الله تعالى، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه الدكتور رضوان سليمان عبيدات

الباحث المتخصص

في شؤون العقيدة والفرق والمذاهب

إربد - الأردن ١٨ شوال ١٤٤١هـ

١١ حزيران ٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الدكتور/ وسام الطيطي (حفظه الله تعالى)

إن الحمد لله نحمده وتستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، حبيبنا وشفيعنا وقائدنا محمد بن عبد الله، وعلى آلة وأصحابه جميعاً ومن والاه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المؤلف الشيخ محمد علي محمد إمام حفظه الله تحية طيبة وبعد:-

لقد شَرف الله وكرَم أهل العلم ورفعهم درجات فقد قال الله عز وجل:(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) فكيف لمؤمن آمن وعمل بالعلم، فيكون قد نال الرفعة مرتين؛ بالإيمان والعمل بالعلم .

فقد عمل المؤلف في كتابه على توضيح معنى الكلمة الطيبة ومعنى اليقين وطريقة إصلاح اليقين في القلب، تكَلم عن جهد الأنبياء وعلى مفهوم التوكل وحصر توكل العبد على الله ، وتعرَض المؤلف في كتابه لجهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم بالدعوة إلى الله و تحمَل الأذى والصبر، فلم يكن هذا التحمل ضعفا لهم وإنما ليلقي الله في قلوبهم الشفقة والرحمة على

الناس، وهذا هو ما ينقصنا اليوم من الدعاة وأن يكون الداعية إلى الله همّه الوحيد إخراج الناس من الظلمات إلى النور وإنقاذهم من الهلاك بالنار والتنعم بنعيم الجنة وما أعدَ الله لهم، وتكلم عن طريقة النفي والإثبات وكيف أن كل شيء غير الله، بغير الله لا يستطيع فعل شيئا دون إرادة الله، فالعين بدون إرادة الله لا تستطيع أن تبصر وكذلك اللسان لا يستطيع أن يتكلم دون إرادة الله.

فكان أسلوب المؤلف الشيخ محمد علي محمد إمام في تأليف كتابه "النفي والإثبات عند أهل الشريعة" سهلاً وماتعاً وسلساً وشيّقا وأنصح كل من يعمل بالدعوة إلى الله أن يقرأ الكتاب ليتزود به ويصبر ويتحمل العناء في سبيل الله، حفظ الله الشيخ المؤلف محمد علي محمد إمام وأعانه على نشر العلم والعمل بما ألَف وأن ينفع به وبعلمه الإسلام والمسلمين ونسأل الله له التوفيق والسداد وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناته.

قدم له العبد الفقير والطامع برحمة ربه

الدكتور وسام محمود جبر الطيطي

أستاذ أصول الفقه والدراسات الإسلامية

ورئيس قسم الفقه وأصوله

في جامعة منيسوتا- الولايات المتحدة الأمريكية



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة/ الشيخ توفيق فيضال

(حفظه الله تعالى)

نحمده ونصلي على رسوله الكريم صلوات ربي وسلامه عليه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فإن النفي والإثبات أسلوب إسلامي أصيل، يكفينا أن جعله الله عنوانا للدخول في دينه متضمنا في الكلمة الطيبة{ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ }، فأنت تنفي أولا الألوهية عما سواه ثم تحصرها فيه تعالى .

وقد اشتهر عند أرباب التربية والتزكية قولهم: التخلية قبل التحلية، أي قبل أن نتحلى بالصفات الحميدة يجب أن نتجرد من الرذيلة، وقبل اكتساب الصفات الظاهرية هناك إصلاح الباطن، ويكون بنفس الأسلوب؛ نفرغ القلب من كل فساد ونشحنه بكل صلاح، وكيف يستقيم إدخال الصالح على الفاسد، حتى في المحسوسات المادية تنطبق عليها القاعدة؛ فلا نصب طيبا على خبث في إناء إلا تنجس الكل، فتوجب التطهير قبل التطييب.

وإذا تأملنا القرآن تيقنا من صدق القاعدة؛ انظروا إلى أعظم آية في القرآن كيف سارت على هذا الأسلوب الأرقى في التربية: { اللهُ لاَ إِلَـهَ } نفي الألوهية عما سواه { إِلاَّ هُوَ } إثباتها وحصرها في الله تعالى { الْحَيُّ الْقَيُّومُ } إثبات صفتي الحياة والقيومية { لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ } كمال الحياة والقيومية بنفي نقصهما: السنة والنوم { لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ } إثبات الملكية لا يتم كماله إلا بنفي الحاجة لأعوان يتملقهم بقبول شفاعتهم كما هو عادة الملوك الناقصين الضعفاء{ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ }، { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ } إثبات كمال علمه بنفي علم من سواه إلا بقدر يأذن فيه، فليس هو عالم فقط؛ بل مصدر العلم، وجاء بهذا المعنى في صيغة النفي والإثبات { وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء }، { وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ } أثبت سعة ملكه، وأثبت بعدها كمال السعة بنفي ضدها، وهو العجز عن حفظها، ومعلوم في تجارب البشر أن سبب خراب الملك عبر التاريخ هو العجز عن التحكم في المملكة لما تتسع أطرافها، فيكون انهيارها من جبروتها، ويكون ضعفها كامن في قوتها، لكن الله تعالى{ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ }(١) .

(١) سورة البقرة – الآية ٢٥٥.

فإذا كان هذا هو الأسلوب الإلهي في أعظم آية! فلن يبقى لأحد حق الرد { وَاللهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ }(١).

بقي أن نشد بعضد الشيخ محمد إمام وجهوده الطيبة المباركة في تأصيله للمنهج النبوي، ونبارك إتحافاته.

لا ضيع الله جهودكم، وأراكم من ثمارها، ما يقر أعينكم وعيون الصالحين .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

أخوكم

توفيق محمد فيضال(غفر الله له)

أستاذ الإسلاميات

الدار البيضاء- المغرب

---

(١) سورة الرعد – الآية ٤١.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الشيخ/ غلام رسول

(حفظه الله تعالى)

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونؤمن به، ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد: إن هذا الكتاب الذي بين أيدينا ونحن نجول بين صفحاته نتعرف على خالقنا " **الله جل جلاله** " وتقدست أسماءه، نتعرف على قدرته، فالله كامل بجميع صفاته وأسماءه، وهو أكبر من كل شيء، وعنده خزائن كل شيء، خزائن النعم، وخزائن النقم:﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾(١).

والله له جميع القوى منها ما نشاهدها، مثل: الريح والأعاصير والعواصف والماء والسيول والفيضانات والصواعق.

---

(١) سورة الحجر – الآية ٢١.

وله في خزائنه ما لا نعلمه:﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾(١).

فإذا كانت معية الله مع العبد فيصبح العبد مرتبطا مع خزائن نعم الله تعالى.

وإن لم تكن معية الله مع العبد فيصبح العبد مرتبطا مع خزائن نقم الله تعالى.

ومعية الله تكن مع العبد بالإيمان والأعمال الصالحة والصفات الحسنة والجهد للدين.

وما نراه من النعم في هذا الكون من خزائن الله، وهذه النعم التي نراها قليلة ومحدودة وعارضة، إذا قورنت بما عند الله :﴿ وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾(٢).

وهذه القوى التي نراها ونشاهدها مخلوقة، وخالقها هو الله، ومن خزائنه تعالى.

ولكن ما هي القوى الحقيقية؟

إن ما عند الله دائم وباقٍ وغير محدود، فأكبر قوة عرفناها، هي قوة الصواريخ والقنابل(الهيدروجينية، والنووية والذرية) التي اخترعها الإنسان، والقوة التي كانت موجودة من قبل مثل:(قوة المد والجزر والأمواج في البحار، وقوة السيول والرياح والجبال) فليست في إيجادها أي قدرة للإنسان.

وبعض الأشياء التي اخترعها الإنسان كانت من قبل موجودة في خزائن الله، ثم أظهرها الله(ﷻ) على يد الإنسان _ بعد فكر وجهد _ وهي تابعة لأمر الله تعالى.

وإذا جاء الله بالزلازل والبراكين والطوفان والأعاصير والريح، فلا يستطيع الإنسان بالقوة التي اخترعها أن يحفظ نفسه وأهله منها.

---

(١) سورة المدثر – الآية ٣١.

(٢) سورة الشورى – الآية ٣٦.

وهذه الأمم التي تكبرت وتجبرت مع الله بالقوة والمال والسلاح والملك، وتعدوا الحدود، وأصروا على الكفر ، أهلكهم الله بعذابه، ومن صور العذاب أن سلط الله عليهم ريحا صرصرا، وخسفا ومسخا وغرقا،....إلخ.

فعلينا أن نتيقن بذات الله تعالى ونخرج اليقين الفاسد من قلوبنا، فكل شيء بيد الله تعالى، فالله أبرد نار النمرود بقدرته وحده:﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾(١)، عندما توجه إبراهيم إلى الله.

فحول هذا المفهوم كان للشيخ محمد علي محمد إمام جهد مشكور في كتابه المسمى((بالنفي والإثبات في شريعة أهل الإيمان)) والذي عبر فيه أصدق تعبير، ولم يدخر وسعا في التعليق على كل ما يحتاج إلى تعليق، والتزم فيه الدقة بكل ما أمكنه، وكان يكتب بدافع من إيمانه وضميره، فجاء هذا الكتاب على المستوى الذي يتحقق فيه ما عزم المؤلف على بيانه للناس.

نسأل الله تعالى أن يتقبل هذا الجهد ويجعله في صحيفة حسناته، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

وأن يجعلنا من الذي يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

فضيلة الشيخ

غلام رسول منجل

من علماء باكستان مدرس العلوم

الشرعية بمدرسة دار العلوم

---

(١) سورة الأنبياء – الآية ٦٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الشيخ/ محمد بن البشير وقادي

(حفظه الله تعالى)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد اطلعتُ على كتاب فضيلة الشيخ الداعية/ محمد علي محمد إمام (حفظه الله ونفع به) الموسوم بالنفي والإثبات في شريعة أهل الإيمان.

فألفيته مشتملا على ما يقوي الإيمان ويرسخ العقيدة ويوثق الصلة بالله من آيات قرآنية أو أحاديث قدسية أو نبوية أو قصص للأنبياء أو أتباعهم من صالحي المؤمنين، وهذا الذي تحتاج الأمة إليه في زماننا، فإن قوة الصلة بالله _ تعالى _ سبب النصر على النفس والشيطان والأعداء.

أسأل الله(عز وجل) أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناته وأن ينفع به ويبارك فيه ويجعل له القبول بين الناس.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

وكتبه الشيخ محمد بن البشير وقادي السُّوفي

من علماء الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين منور قلوب المؤمنين العارفين بنور الإيمان واليقين، فعرفوه بأسمائه وصفاته وبره وإحسانه، فلم يرجوا غيره، ولم يثقوا في غيره، ولم يحبوا غيره، ولم يستعينوا بأحدٍ غيره، ولم يتوكلوا على أحدٍ غيره.

وأشهدُ أن محمدا عبد ورسوله (ﷺ) الذي علم أمته قوة الإيمان واليقين وكمال التوحيد، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَجُلًا، أَتَى النَّبِيَّ (ﷺ) فَكَلَّمَهُ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ، فَقَالَ : مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): أَجَعَلْتَنِي للهِ عَدْلًا ؟ قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ(١).

وعند مرجعه(ﷺ) من غزوة ذات الرقاع (٢) حينما قال(٣) تحت الشجرة الظليلة، التي تركها له الأصحاب ليستريح تحتها وحده، فعلق عليها سيفه ونام

---

١) السنن الكبرى للنسائي_ كِتَابُ عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ_ (٩٤٧٣).

٢) جاء في"المواهب اللدنية " للقسطلاني وشرحها للزرقاني أن غزوة ذات الرِّقاع سمِّيت بذلك لأنهم رَقعوا فيها راياتِهم، أو باسم شجرة في ذلك الموضع كانت العرب تعبدُها وتربط بها خرقًا لقضاء مصالحهم. وقيل: لأن الأرض التي نزلوا بها كان بها بُقع سُودٌ وبقع بيض كأنّها ثوب مرقّع، وقيل: لأن خيلَهم كان بها سَواد وبَياض.

وأصح الأقوال ما رواه البخاري ومسلم أنَّ قِلّة الجِمال كانت تضطرُّ بعضَهم إلى المشي فيعصِبون على أرجلِهم رِقاعًا تخفِّف عنهم ألمَ المشي على الأرض الصعبة.

والرجلُ الذي أراد قتلَ الرسولِ (ﷺ) وهو نائم تحت الشّجرة وسقط السّيف من يده كما في البخاري ــ اسمه غَوْرَث بن الحارث، وقيل: غُوَيْرِث، بالتصغير.

٣) أي نام وقت القيلولة، وكان يوم صائف.

، فإذا بمشرك يرى سيفَ رَسُولِ الله (ﷺ) معلق بالشجرة، فيأخذه ويوقظ الرسول(ﷺ) ويقول له: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: « اللهُ ». قَالَ: فَسَقَطَ السيفُ مِنْ يَدِهِ »، فما كان من رسول الله (ﷺ) إلا أن استغل هذه الفرصة ليعلم أصحابه الإيمان واليقين بالطريقة العملية لما لها من عظيم الأثر في النفوس، فناداهم، فَقَالَ: « إنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيفِي وَأنَا نَائمٌ فَاسْتَيقَظْتُ وَهُوَ في يَدِهِ صَلتًا، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللهُ – ثلاثًا »(١).

إنها لصورة عملية تبين كمال التوحيد وقوة اليقين على كفاية الله لعبده في قلب النبي(ﷺ)، مهما كان الخطب وشدة البلاء، فهزت كيان هذا الكافر وأرعدت فرائصه لأنه عاري من كلمة التوحيد، ولأنها خرجت من قلب مفعم بالإيمان واليقين بربه.

فغرست هذه القصة أكبر الأثر في نفوس الصحابة الكرام لمعنى الكلمة الطيبة " **لا إله إلا الله** " والتي خرجت روحها من حياتنا اليوم، وأصبحت فقط صورة نتلفظ بها ولا نعرف معناها ومدى تأثيرها، أما هم فقد عاشوها في حياتهم عمليا حتى كانت (تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) فهذا: عن هشام بن العاص الأموي قال بعثت أنا ورجل آخر إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام فخرجنا حتى قدمنا الغوطة يعني غوطة دمشق فنزلنا على جبلة بن الأيهم الغساني فدخلنا عليه .....وبعث معنا رسولا إلى الملك فخرجنا حتى إذا

١) انظر الحديث بتمامه وجميع رواياته في رياض الصالحين _ باب اليقين والتوكل.

كنا قريبا من المدينة قال لنا الذي معنا : إن دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك فإن شئتم حملناكم على براذين (١) وبغال قلنا والله لا ندخل إلا عليها فأرسلوا إلى الملك أنهم يأبون ذلك فأمرهم أن ندخل على رواحلنا فدخلنا عليها متقلدين سيوفنا حتى انتهينا إلى غرفة له فأنخنا في أصلها وهو ينظر إلينا فقلنا لا إله إلا الله والله أكبر فالله يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى صارت كأنها عذق(٢) تصفقه الرياح(٣) ..... وسألهم بعض الأسئلة ثم، قال: فما أعظم كلامكم ؟ قلنا لا إله إلا الله والله أكبر فلما تكلمنا بها والله يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى رفع رأسه إليها قال فهذه الكلمة التي قلتموها حيث انتفضت الغرفة أكلما قلتموها في بيوتكم انتفضت عليكم غرفكم ؟ قلنا لا ما رأيناها فعلت هذا قط إلا عندك قال: لوددت أنكم كلما قلتم انتفض كل شيء عليكم وإني قد خرجت من نصف ملكي قلنا لم ؟ قال لأنه كان أيسر لشأنها وأجدر أن لا تكون من أمر النبوة وأنها تكون من حيل الناس.....إلخ(٤).

---

١) جمع برذون وهو التركي من الخيل.

٢) الْعَذْقُ: كُلُّ غُصْنٍ لَهُ شُعَبٌ، وَالْعَذْقُ أَيْضًا: النَّخْلَةُ عِنْدَ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَالْعِذْقُ: الْكِبَاسَةُ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْعَذْقُ بِالْفَتْحِ النَّخْلَةُ بِحَمْلِهَا، وَمِنْهُ حَدِيثُ السَّقِيفَةِ: أَنَا عُذَيْقُهَا الْمُرَجَّبُ تَصْغِيرًا لِعَذْقِ النَّخْلَةِ وَهُوَ تَصْغِيرُ تَعْظِيمٍ، وَفِي الْحَدِيثِ: كَمْ مِنْ عِذْقٍ مُذَلَّلٍ فِي الْجَنَّةِ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ، الْعَذْقُ بِالْفَتْحِ: النَّخْلَةُ وَبِالْكَسْرِ: الْعُرْجُونُ بِمَا فِيهِ مِنَ الشَّمَارِيخِ، وَيُجْمَعُ عَلَى عِذَاقٍ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: وَمِنْهُ حَدِيثُ أَنَسٍ: فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أُمِّي عِذَاقَهَا، أَيْ: نَخَلَاتِهَا، وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ: لَا قَطْعَ فِي عِذْقٍ مُعَلَّقٍ؛ لِأَنَّهُ مَا دَامَ مُعَلَّقًا فِي الشَّجَرَةِ فَلَيْسَ فِي حِرْزٍ، وَفِي الْحَدِيثِ: لَا وَالَّذِي أَخْرَجَ الْعَذْقَ مِنَ الْجَرِيمَةِ(لسان العرب).

٣) أي: تحركه.

٤) انظر القصة بتمامها في البداية والنهاية لابن كثير وكذلك في تفسيره سورة الأعراف الآية ١٥٧: وقال هَكَذَا أَوْرَدَهُ الْحَافِظُ الْكَبِيرُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي كِتَابِ "دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ"، عَنِ الْحَاكِمِ إِجَازَةً، فَذَكَرَهُ وَإِسْنَادُهُ لَا بَأْسَ بِهِ.

وفي بدر مع كثرة الكفار وقلة المؤمنين ومناشدة رسول الله لرب العالمين ونزلت الملائكة من عند الله مؤيدين ومقاتلين(١)، فكانت درسا للمؤمنين في كل وقت وحين، فهذا أبو هريرة الذي لم يشهد تلك المشاهد مع حبيب رب العالمين، يقف في غزوة مؤتة منبهرا بكثرة الأعداء، كما حدث بذلك أبو هُرَيْرَةَ قَالَ: شَهِدْتُ مُؤْتَةَ، فَلَمَّا دَنَا مِنَّا الْمُشْرِكُونَ، رَأَيْنَا مَا لَا قِبَلَ لِأَحَدٍ بِهِ، مِنَ الْعُدَّةِ، وَالسِّلَاحِ، وَالْكُرَاعِ، وَالدِّيبَاجِ، وَالْحَرِيرِ، وَالذَّهَبِ، فَبَرِقَ بَصَرِي، فَقَالَ لِي ثَابِتُ بْنُ أَقْرَمَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، كَأَنَّكَ تَرَى جُمُوعًا كَثِيرَةً! قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: إِنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ مَعَنَا بَدْرًا، إِنَّا لَمْ نُنْصَرْ بِالْكَثْرَةِ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ(٢).

فأخذ الأصحاب درسا لن ينسوه أبدا في كل موطن وحال.. واليوم بسبب ضعف الإيمان واليقين أصابتنا ثلاث آفات:

الأولى: أننا تأثرنا من قوة المخلوق، فأصبحنا نخافه ونرجوه، فأذلنا الله به.

الثانية: أننا كل يوم نطرق باب المخلوق مع أنه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً.

الثالثة: أننا أعرضنا عن الخالق القادر المالك لكل شيء، فلا نرجوه ولا نخافه، ولا نقف ببابه، ولا نستقيم على أوامره.

فكيف نستفيد من قدرته، وكيف نستفيد من خزائنه وهذه أحوالنا ؟. إن

---

١) البداية والنهاية لابن كثير.

٢) البداية والنهاية لابن كثير.

ذلك لا يُنال إلا بكمال الإيمان والتقوى(١)، والتضحية بالملذات البدنية من أجل تعلم حقيقة الإيمان واليقين برب العالمين.. ففي قصة موسى مع الخضر لنتعلم اليقين على الأمر، وفي قصة إبراهيم في إحياء الموتى لنتعلم اليقين على الآمر.

وحتى يترسخ فينا اليقين لا بد لنا من التضحية والجهد بالمال والنفس والوقت.

والقلم وسيلة المعرفة والكون واسطة المعرفة والإنسان صاحب المعرفة.

فكان كتابي هذا لتصحيح الإيمان واليقين، حتى لا تزيغ قلوبنا وراء الدعوات الهدامة اليوم التي تبعدنا عن معرفتنا بالله وبأسمائه وصفاته، وقدرته .. التي بها عز الأولين وبها نصروا وبها ارتقوا.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا إيمانا يباشر قلوبنا والذي به يُصلح بها حياتنا.

المؤلف

العبد الفقير إلى عفو ربه المنان

محمد بن علي محمد إمام

١) فقه القلوب للتويجري.

النفي والإثبات
في شريعة أهل الإيمان

تمهيد

عَنْ عِيَاضٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَلِمَةٌ عَلَى اللهِ كَرِيمَةٌ، وَلَهَا مِنَ اللهِ مَكَانٌ، وَهِيَ كَلِمَةٌ جَمَعَتْ وَشَرَكَتْ، فَمَنْ قَالَهَا صَادِقًا أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قَالَهَا كَاذِبًا حَقَنَتْ دَمَهُ، وَأَحْرَزَتْ مَالَهُ، وَلَقِيَ اللهَ غَدًا فَحَاسَبَهُ» (١).

الذي ما بدأ دعوته بقول لا إله إلا الله ما وضع قدمه على أول عتبة في الدعوة.

ذكر الكلمة يزيد الإيمان، ودعوة الكلمة تدمر الباطل في قلب الإنسان وفي خارجه، فإذا تدمر الباطل الذي في الداخل، سهل تدمير الباطل الذي في

---

(١) قال الهيثمي في المجمع، كتاب الإيمان، باب في مَا يُحَرِّمُ دَمَ المرْءِ وَمَالِهِ، (١/ ٤١): رواه البزار، ورجاله موثقون إن كان تابعيه عبدَ الرّحمان بن عبد الله بن مسعود.

وفي لفظ له ولغيره: عن عِياض الأَنصاري ﷺ، قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: إنَّ لا اله إلا الله كلمةٌ على الله كريمةٌ، لها عندَ الله مكانٌ، وهيَ كلمةٌ مَنْ قالها صادقاً أَدْخَلَهُ الله بها الجنة، ومَنْ قالها كَاذِباً حَقَنَتْ دَمَهُ وأَحْرَزَتْ مَالَهُ، ولَقِيَ الله غَداً فحاسَبَهُ».

الخارج، لأن جذور الباطل الخارجي هي في القلب، فإذا خرجت الجذور من الداخل فوجودها الخارجي لا يؤثر.

المقصود أن تتربع:(**لآ إله إلا الله**) في القلوب، نفي كل ما سوى الله، وأن نرى حقيقة الفعل والعطاء والمنع والعزة والذلة فقط بيد الخالق جل وعلا.

اليقين هو فقدان رؤية غير الله من القلب، إذا جاء الحال ما ترى غير الله يفعل، ولا تراه ما يقضي حاجة، ولا ترى مخلوق يدبر، ولا ترى مخلوق يصرف، ولا ترى مخلوق عنده شيء.

الحال الحقيقي هو حال القلب عند الحال.. كيف حال قلب الإنسان في وقت الأحوال، هل قلبه مع الله، أو قلبه مع الأشياء، هل ترى أن غير الله يفعل أو المخلوق هو الذي يفعل؟ الحقيقة أن الفعال هو الله.

والأحوال من فقر ومرض ونحوهما لا تتغير بالأسباب، بل تتغير بالإيمان والأعمال الصالحة.

وإن تغيرت أحياناً بالأسباب فهي ابتلاء للمؤمن، هل يركن إليها ولا يلجأ إلى الله؟، وهي كذلك اطمئنان للكافر فهو لا يعرف غيرها.

فالكفار يتفكرون لتغيير أحوالهم من الفقر إلى الغنى، ومن المرض إلى الصحة بالأسباب، وإذا جاءت عليهم أحوال سيئة يتفكرون لتغييرها بالأموال والأسباب.

وتغيير الأحوال بالأسباب جهد فرعون.. أما جهد الأنبياء فهو تغيير الأحوال بالإيمان والأعمال الصالحة لا بالأسباب، بل بأمر الله وسنته فهو مالك الملك، وبيده كل شيء كما قال تعالى:{ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ }(١).وقال الله سبحانه: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ }(٢).

فالفقر والمرض أحوال لا نتوجه لحلها إلى الأسباب فقط، بل نتقي ونحذر، ونتوجه إلى الله أولاً بالإيمان والأعمال التي ترضيه، ثم هو سبحانه يغير الأحوال بقدرته.. فهو وحده القادر على تغيير الأحوال.

إما بالأسباب كما هو معلوم .. أو بدون الأسباب فيقول للشيء كن فيكون كما رزق مريم طعاماً بلا شجر، وابناً بلا ذكر .. أو بضد الأسباب كما جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وكما جعل البحر سبباً لنجاة موسى في التابوت، وحين كان مع بني إسرائيل.

فلا نتوجه إلى الأسباب في حل المشاكل، وتغيير الأحوال، بل نتوجه إلى الله، ونفعل ما يرضيه، وننظر ما هو أمر الله في حال الفقر أو الجوع أو المرض أو الخوف فنفعله كما فعله النبي – صلى الله عليه وسلم –.

والله سبحانه خالق الأسباب التي يتم بها ما أراد، كما جعل المطر سبباً للإنبات .. والدواء سبباً لذهاب الداء .. ووطء المرأة سبباً للحمل .. والنار

(١) سورة الرعد – الآية ١١.
(٢) سورة البقرة – الآية ٤٥.

سبباً للإحراق.. والأكل سبباً لذهاب الجوع .. والماء سبباً لذهاب العطش .. والسكين سبباً للقطع.

كما جعل سبحانه الدعاء سبباً لما يحصل للمدعو له أو المدعو عليه .. وسؤال العلماء سبباً لزوال الجهل .. وطاعة الله سبباً لرضاه .. ومعصية الله سبباً لسخطه وانتقامه.

فالأسباب المأذون فيها شرعاً والمأمور بها والمنصوص عليها لا تنكر، لكن لا نتكل عليها، فنفعلها ولا نتوكل عليها، إذ في إنكارها نقص في العقل، وفي الاتكال عليها شرك في الدين.

وكل من الاتكال عليها، والإنكار لها، منتفٍ شرعاً وعقلاً.

فالواجب الإيمان بها وفعلها، وعدم التوكل إلا على الله وحده.

كما قال سبحانه: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا} (١) .

ومن سنة الله أن من اعتمد على غير الله من الملك والمال والأسباب، أعطاه الله إياه، وخذله من جهته فـ: { لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا } (٢).

ومن سنته كذلك جعل الأسباب في أيدي أعداء الله، لأن أعداء الله اعتمادهم على غير الله من الأسباب كالملك والمال والسلاح ونحوها.

---

(١) سورة الفرقان – الآية ٥٨.

(٢) سورة الإسراء – الآية ٢٢.

ومن سنته كذلك إعطاء الفقر والمسكنة لأنبياء الله وأتباعهم، لأن اعتمادهم على الله، ليس على الملك والمال والأسباب كما قال سبحانه: {قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} (١).

فاعتماد المؤمنين في كل شيء على الله، واعتماد الكفار على الأسباب، والأسباب بدون الإيمان سبب للهلاك كما قال سبحانه: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} (٢) ..

والكفار يستعملون هذه الأسباب التي أعطاهم الله في عداوة المؤمنين وإيذائهم، والله سبحانه يأمر المؤمنين بالصبر عليهم، والله قادر أن يهلكهم بالحر او البرد أو بالحجارة أو يحرقهم بالنار أو يغرقهم بالماء، أو يخسف بهم الأرض أو بغير ذلك.

وكانت مثل هذه الأحوال في مكة، فقد أوذي النبي - ﷺ - ومن آمن معه، وظلموا وعذبوا، وفي كلها أمرهم الله بالصبر، وتحمل الأذى والدعوة والرحمة كما قال سبحانه: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} (٣).

وهذا الصبر ليس بسبب الضعف، بل ليلقي في قلوب المؤمنين والدعاة الشفقة والرحمة على الناس أكثر من شفقة الأم على ولدها، الذي يؤذيها فترحمه، لأنها تعلم ما لا يعلم.

---

(١) سورة الملك – الآية ٢٩.
(٢) سورة الأنعام – الآية ٤٤.
(٣) سورة الروم – الآية ٦٠.

فالرسول – ﷺ- يتفكر ويعمل لهداية الناس، وأعداؤه يتفكرون ويعملون للقضاء عليه.

همُّ الرسول وفكره في هدايتهم .. وفكرهم وهمهم لجهلهم لقتله، وشتان بينهما.

فقلبه – ﷺ- مملوء رحمةً وإيماناً وعلماً، وقلوبهم مملوءة غلظةً وكفراً وجهلاً وظلماً.

وكلما زادوا في أذاه ازداد رحمةً لهم وشفقةً عليهم، ولم تأت في قلبه عاطفة الانتقام لنفسه.

وإذا كان الله معنا لم نهزم ولم نغلب كما قال سبحانه: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ } (١)(٢).

الآن بعدم ذكر الخالق ونفي الأسباب، صدقنا أن الفعل من المخلوق، تذهب القلوب وتوجهت للأشياء والحقيقة أن هذا النظر خداع، الذي يريد أن غير الله يفعل.. كالذي يمشي وراء السراب وهو ظمآن وكلما يمشي وراء السراب يزداد ظمأ ويبتعد السراب، قال تعالى: ((وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)) (٣).

---

(١) سورة الروم – الآية ٤٧.
(٢) فقه القلوب _ الباب الرابع _ كتاب الإيمان – فقه خلق الأسباب من صـ ٩٤٤ : ٩٤٧.
(٣) سورة النور _ الآية ٣٩.

حياته كلها يجري وراء الأسباب والأشياء ليقضي حاجته فتزداد الحاجة وتبتعد الأشياء، يعني يأتيه الموت وهو متوجه للأشياء والحاجات.

الحقيقة الفعل الحقيقي كله بيد الله: مالك الضر هو الله.. ومالك النفع هو الله.. فهو ((النافع الضار)) ومالك السعادة هو الله.. ومالك الشقاء هو الله.. ومالك العزة هو الله.. ومالك الذلة هو الله.. ((قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)) (١).

يعز بقدرته.. يغني بقدرته لا يحتاج لأسباب الغنى حتى يغني.. ولا يحتاج لأسباب العز حتى يعز.

الله عز وجل أمن إبراهيم في وسط أسباب الهلاك.. لأن الأمن والخوف ليس من الأشياء.. أسباب الخوف لا تخلق ذرة من الخوف.. وأسباب الأمن لا تخلق ذرة من الأمن.

الله سمى إبراهيم فريق.. وخصومه النمرود وقومه وجيشه وأسلحته وعتاده فريق.. عندهم الأسباب الظاهرية، وإبراهيم ما عنده شيء من الأسباب الظاهرية، قال تعالى: { وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللّهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ

---

(١) سورة آل عمران _ الآيتان ٢٦ ، ٢٧.

كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ * قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَىَ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَقِيمُواْ الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ

الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } (١).

صاحب الإيمان هو صاحب الأمن الحقيقي، يتأمن قلبه فهو آمن، وإذا خاف قلبه فهو خائف.

لو يكن في كل أسباب الأمن والله خوف قلبه، لا يمكن للأسباب أن تخلق له ذرة من الأمن، كيَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ: قال تعالى: { هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ } (٢).

[الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ] يَعْنِي يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ. كَانَ رَسُولُ الله (ﷺ) لَمَّا قَدِمَ المدينة هادنهم وأعطاهم عهدا وذمة على أن لا يُقَاتِلَهُمْ وَلَا يُقَاتِلُوهُ، فَنَقَضُوا الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ فَأَحَلَّ اللهُ بِهِمْ بِأْسَهُ الَّذِي لَا مَرَدَّ لَهُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ قَضَاءَهُ الَّذِي لَا يُصَدُّ، فَأَجْلَاهُمُ النَّبِيُّ (ﷺ) وأخرجهم من حُصُونِهِمُ الْحَصِينَةِ الَّتِي مَا طَمِعَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ وَظَنُّوا هُمْ(أي تيقنوا) أَنَّهَا مَانِعَتُهُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ، فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَجَاءَهُمْ من الله مَا لَمْ يَكُنْ بِبَالِهِمْ، وَسَيَّرَهُمْ رَسُولُ الله (ﷺ) وَأَجْلَاهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ،

(١) سورة الأنعام _ الآيات من ٧٠ : ٨٣.

(٢) سورة الحشر _ الآية ٢ .

فَكَانَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ذَهَبُوا إِلَى أَذْرِعَاتٍ مِنْ أَعَالِي الشَّامِ، وَهِيَ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ، وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ ذَهَبُوا إِلَى خَيْبَرَ، وَكَانَ قَدْ أَنْزَلَهُمْ مِنْهَا عَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا حَمَلَتْ إِبِلُهُمْ، فَكَانُوا يُخَرِّبُونَ مَا فِي بيوتهم من المنقولات التي لا يمكن أن تحمل معهم، ولهذا قال تعالى:(يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصارِ) أَيْ تَفَكَّرُوا فِي عَاقِبَةِ مَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ وَخَالَفَ رَسُولَهُ وَكَذَّبَ كِتَابَهُ كَيْفَ يَحِلُّ بِهِ مِنْ بَأْسِهِ الْمُخْزِي لَهُ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُهُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ) (١).

أعلى منازل الخوف في وسط كمال الأمن.. الله أرسل إليهم جند من جنوده (الخوف).. في وسط الأمن الله خوفهم.

وفي غزوة بدر: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : [إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ يَعْنِي الرُّؤُوسَ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ] (٢).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ صُعَيْرٍ ، سَمِعْتُ نَوْفَلَ بْنَ مُعَاوِيَةَ الدِّيلِيَّ يَقُولُ : انْهَزَمْنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَسْمَعُ صَوْتًا كَوَقْعِ الْحَصَى فِي الطِّسَاسِ، فِي أَفْئِدَتِنَا وَمِنْ خَلْفِنَا، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَشَدِّ الرُّعْبِ عَلَيْنَا (٣).

---

(١) تفسير ابن كثير _ سورة الحشر _ الآية ٢ .

(٢) سورة الْأَنْفَالِ : الآية ١٢.

(٣) البداية والنهاية» السنة الثانية من الهجرة» كتاب المغازي» غَزْوَةُ بَدْرٍ الْعُظْمَى يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ.

فالخوف والرعب جند من جنود الله، ففي البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله(ﷺ): " نُصِرْتُ بِالرُّعَبِ مَسِيرَةَ شَهْر" (١).

وفي رواية أحمد:" وَلَوْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مَسِيرَةُ شَهْرٍ " (٢).

الفعل الحقيقي فعل الله.. العطاء الحقيقي هو عطاء الله.. هو المانع ولا معطي غيره، هو العاطي ولا مانع غيره.

كيف نخرج من قلوبنا غير الله.. تأثرت القلوب بغير الله.

عندما يبدأ الإنسان دعوة لا إله إلا الله، يدخل ميدان لا إله إلا الله، ولا يدخل ميدان لا إله إلا الله إلا من ذُلِلَ لسانه بلا إله إلا الله.

إذا تركنا دعوة لا إله إلا الله نتأثر من الأشياء والأسباب.

دعوتك إلى الله تصل إلى الله فيقبلك الله عز وجل، فإذا قبل الله كلامك أدخلك ميدان لا إله إلا الله (٣).

وفي ميدان لا إله إلا الله: لما تعرض عليك الأحوال والأسباب، تكون مثل السفينة التي لها مجاديف، ما تتأثر بالأحوال والأسباب.

ولكن إذا ترك الدعوة لـ لا إله إلا الله فيكون وسط الأحوال صفرا يتأثر بها.

الذي ما يسمع قصص الأنبياء يوميا كالذي يمنع من الأكسجين يموت إيمانه ويقينه.. وفكر الدعوة يموت في حياته.. محتاجين دائما دعوة لا إله إلا

---

(١) رواه البخاري (٣٢٨)، ومسلم (٥٢١)، والنسائي (٤٣٢).

(٢) رواه أحمد عن عبد الله بن عمرو (٧٠٦٨).

(٣) أي: ميدان معرفة الله عز وجل .

الله.. فبها ندخل ميدان لا إله إلا الله.. وفي هذا الميدان تأتي التزكية، وبالتزكية يأتي الفلاح.

يقول فضيلة الشيخ أبو الحسن الندوي **(رحمه الله) : ما أخطأ** المجتمع الجاهلي فهم هذه الدعوة ومراميها، وما غم على أهله أمرها، وأدركوا عندما قرع أسماعهم صوت النبي (ﷺ) أن دعوته إلى الإيمان بالله وحده سهم مسدد إلى كبد الجاهلية ونعي لها، فقامت قيامة الجاهلية ودافعت عن تراثها دفاعها الأخير، وقاتلت في سبيل الاحتفاظ به قتال المستميت، وأجلبت على الداعي (ﷺ)، بخيلها ورجلها، وجاءت بحدها وحديدها:{ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ}(١)، ووجد كل ركن من أركان هذه الحياة ومن أثافي الجاهلية نفسه مهددا وحياته منذرة، وهنا وقع ما تحدث عنه التاريخ من حوادث الاضطهاد والتعذيب، وكان ذلك آية توفيق النبي (ﷺ) لأنه أصاب الغرض، وضرب على الوتر الحساس، وأصاب الجاهلية في صميمها وفي مقتلها، وثبت النبي (ﷺ) على دعوته ثبوتا دونه ثبوت الراسيات، لا يثنيه أذى، ولا يلويه كيد، ولا يلتفت إلى إغراء، ويقول لعمه:" يَا عَمٌّ، وَاَللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ، أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ ، مَا تَرَكْتُهُ " (٢)(٣).

---

(١) سورة ص : الآية ٦.

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٣.

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوي.

حلقنا حلقة التعليم وما حلقنا حلق الإيمان، ما جلسنا نتذاكر الغيب، ما جلسنا نتذاكر عظمة الله، ما جلسنا نتذاكر قدرة الله.. بيئة الغيب ينسى فيها الأشياء والحاجات.

يقول الشيخ يوسف(رحمه الله): في البداية القلب يكذب اللسان، عندما تقول الله يفعل ، والمال لا يفعل، فيقول لك القلب: كيف! المال اشتريت به وفعلت به وجئت به، و ... و...، ففي البداية القلب يكذب اللسان، وبعد الاستقامة على الدعوة القلب يستحي ويصدق اللسان، قال تعالى:{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } (١). صادقون في إيمانهم.

مستعدون !!! نجعل الدين وجهد الدين مقصد الحياة، ليس أربع شهور وسنة، بل تحت أمر الله وطريق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم.

(١) سورة الحجرات _ الآية ١٥ .

يقين

الكلمة الطيبة

أولا: **معنى كلمة التوحيد :** " لا إله إلا الله " أنه لا معبود بحق إلا الله.

ثانيا: **المقصود من الكلمة الطيبة** (لا إله إلا الله):

من مقاصدها العليا أن نتيقن أن الله تعالى فعال لما يريد وإرادته لا يحدها حد، وأن الله قادر على كل شيء بدون المخلوقات، وأن الله يفعل بالأسباب (١) وبدون أسباب (٢) وضد الأسباب(٣)، وأن نتيقن بأن المخلوقات مع جميع الأسباب لا يقدرون على شيء بدون إرادة الله تعالى، وعلى هذا ربى الأنبياء وأتباعهم فكان يقينهم على الله تعالى لا تزحزحه أحوال الدنيا مهما عظمت.

(١) فيخلق ويرزق بالأسباب ليتبين به ما أفاض من صنعه، وما أودع في مخلوقاته من القوى والطبائع والمنافع(فقه القلوب للتويجري صـــ ٩٦٠).

(٢) ويخلق ويرزق بدون الأسباب ليبين للعباد أن قدرة الله غير مفتقرة إلى واسطة في فعله(فقه القلوب للتويجري صـــ ٩٦٠).

كخلق آدم، وعيسى عليهما السلام، ورزق مريم في المحراب، ورزق خبيب بقطف العنب وهو في الأسر في زمن ليس فيه عنب، وسقايته لأم شريك الماء بدلو من السماء،.....فالمعجزات الدالة على قدرة الله لا تحصر(انظر الجزء العاشر من كتاب سبل الهدى والرشاد).

(٣) ويخلق ويعطي بضد الأسباب ليعلم العباد أن الله على كل شيء قدير، يفعل ما يشاء، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، كما جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وأخرج الماء من الحجر لموسى وقومه (فقه القلوب للتويجري صـــ ٩٦٠)

أخي الحبيب انتبه! فإن هذا الكلام لا يتفق مع عقيدة الجبر حيثً اسْتَدَلَّتْ الْجَبْرِيَّةُ، بقَوْلُهُ تَعَالَى :{ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَّ رَمَى } (١).فَنَفَى اللهُّ عَنْ نَبِيِّهِ الرَّمْيَ، وَأَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ سُبْحَانَهُ ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا صُنْعَ لِلْعَبْدِ . قَالُوا : وَالْجَزَاءُ غَيْرُ مُرَتَّبٍ عَلَى الْأَعْمَالِ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ (ﷺ) :" لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِّ ؟ قَالَ : وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُّ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ " (٢).

وَمِمَّا اسْتَدَلَّ بِهِ الْقَدَرِيَّةُ ، قَوْلُهُ تَعَالَى : {فَتَبَارَكَ اللهُّ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} (٣). قَالُوا : وَالْجَزَاءُ مُرَتَّبٌ عَلَى الْأَعْمَالِ تَرْتِيبَ الْعِوَضِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :{ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (٤). {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }(٥) وَنَحْوُ ذَلِكَ .

فَأَمَّا مَا اسْتَدَلَّتْ بِهِ الْجَبْرِيَّةُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : { وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَّ رَمَى} (٦) فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُ تَعَالَى أَثْبَتَ لِرَسُولِهِ [ﷺ] رَمْيًا ، بِقَوْلِهِ: إِذْ رَمَيْتَ فَعُلِمَ أَنَّ الْمُثْبَتَ غَيْرُ الْمَنْفِيِّ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّمْيَ لَهُ ابْتِدَاءٌ وَانْتِهَاءٌ : فَابْتِدَاؤُهُ الْحَذْفُ، وَانْتِهَاؤُهُ الْإِصَابَةُ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يُسَمَّى رَمْيًا، فَالْمَعْنَى حِينَئِذٍ - وَاللهُّ تَعَالَى

---

(١) سورة الْأَنْفَالِ _ الآية ١٧ .
(٢) سورة الْأَنْفَالِ _ الآية ١٧ .
(٣) سورة الْمُؤْمِنُونَ _ الآية ١٤ .
(٤) سورة فُصِّلَتْ : ١٧] وَ [الْأَحْقَافِ : ١٤] وَ [الْوَاقِعَةِ : ٢٤.
(٥) سورة الزُّخْرُفِ : الآية ٧٢.
(٦) سورة الْأَنْفَالِ _ الآية ١٧ .

أَعْلَمُ: وَمَا أَصَبْتَ إِذْ حَذَفْتَ وَلَكِنَّ اللهَّ أَصَابَ . وَإِلَّا فَطَرْدُ قَوْلِهِمْ : وَمَا صَلَّيْتَ إِذْ صَلَّيْتَ وَلَكِنَّ اللهَّ صَلَّى! وَمَا صُمْتَ إِذْ صُمْتَ! وَمَا زَنَيْتَ إِذْ زَنَيْتَ! وَمَا سَرَقْتَ إِذْ سَرَقْتَ! وَفَسَادُ هَذَا ظَاهِرٌ .

وَأَمَّا تَرَتُّبُ الْجُزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ، فَقَدْ ضَلَّتْ فِيهِ الْجُبْرِيَّةُ وَالْقَدَرِيَّةُ، وَهَدَى اللهُّ أَهْلَ السُّنَّةِ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ. فَإِنَّ الْبَاءَ الَّتِي فِي النَّفْيِ غَيْرُ الْبَاءِ الَّتِي فِي الْإِثْبَاتِ، فَالْمَنْفِيُّ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَنْ يَدْخُلَ الْجُنَّةَ أَحَدٌ بِعَمَلِهِ" بَاءُ الْعِوَضِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ كَالثَّمَنِ لِدُخُولِ الرَّجُلِ إِلَى الْجُنَّةِ، كَمَا زَعَمَتِ الْمُعْتَزِلَةُ أَنَّ الْعَامِلَ مُسْتَحِقٌّ دُخُولَ الْجُنَّةِ عَلَى رَبِّهِ بِعَمَلِهِ! بَلْ ذَلِكَ بِرَحْمَةِ اللهَّ وَفَضْلِهِ. وَالْبَاءُ الَّتِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (١) وَنَحْوُهَا، بَاءُ السَّبَبِ، أَيْ بِسَبَبِ عَمَلِكُمْ ، وَاللهُّ تَعَالَى هُوَ خَالِقُ الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبَّبَاتِ، فَرَجَعَ الْكُلُّ إِلَى مَحْضِ فَضْلِ اللهَّ وَرَحْمَتِهِ(٢).

فلا يقع في هذا الوجود شيء إلا بإذن الله، والأسباب تفعل فعلها، وتظهر آثارها بإذن الله.. فلو عرض الإنسان يده للنار فإنها تحترق، ولكن هذا الاحتراق لا يكون إلا بإذن الله، فالله هو الذي أودع النار خاصية الحرق، وأودع يدك خاصية الاحتراق بها.. وهو سبحانه قادر أن يوقف هذه الخاصية حين لا يأذن لحكمة يريدها، كما وقع لإبراهيم - ﷺ- حين ألقي في النار، فالنار

(١) سورة فُصِّلَتْ _ الآية ١٧ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية» أفعال العباد» الرد على الجبرية والمعتزلة في مسألة الكلام- علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي.

تشتعل ولكن الله منعها من حرق إبراهيم، بل جعلها برداً وسلاماً عليه كما قال سبحانه: { قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ } (١).

وكذلك السحر الذي يفرقون به بين المرء وزوجه ينشئ هذا الأثر بإذن الله، والله قادر أن يوقف هذا الأثر فيه حين لا يأذن لحكمة يريدها كما قال سبحانه عن السحرة: { فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ }(٢) ، والأمر كله لله، والله لا مقيد لمشيئته، فالمشيئة التي تريد النتيجة، هي ذاتها التي تيسر الأسباب.

فلا تعارض بين تعليق النصر بالمشيئة ووجود الأسباب، وهذا الكون وما يجري فيه كله يسير وفق مشيئة الله: { لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ } (٣)، فالعقيدة الصحيحة ترد الأمر كله لله، ولكنها لا تعفي البشر من الأخذ بالأسباب المشروعة، والتي من شأنها أن تظهر النتائج إلى عالم الشهادة والواقع بأمر الله.

أما إن تحقق تلك النتائج فعلاً أو لا تحقق فليس داخلاً في التكليف، لأن مرد ذلك في النهاية إلى تدبير الله، فالتوكل مقيد بالأخذ بالأسباب، ورد الأمر بعد ذلك إلى الله وحده، وهذا محل الابتلاء.

---

(١) سورة الأنبياء – الآية ٦٩.

(٢) سورة البقرة– الآية ١٠٢ .

(٣) سورة الروم _ الآيتان ٤، ٥.

وظاهر الأسباب في الدنيا هو من أساس حكمة الحياة، أن يكون ظاهراً أمامك أن هذا يعطي، وهذا يمنع.. وهذا يستطيع أن يعطيك المال والخير، وهذا يستطيع أن يمنع عنك الرزق.

وأنت إما أن تندفع لإرضاء بشر على حساب معصية الله، وإما أن تلتزم بمنهج الله ولا تخشى أحداً.

فظاهرية الملك.. وظاهرية الأسباب.. لازمة في الحياة الدنيا.. غير لازمة في الآخرة.. ولذلك فإن هذا الظاهر، وهذه الأسباب، كل ذلك يختفي في الآخرة، ويكون الشيء مباشرة من الله لعبيده.

لماذا؟ .. لأن الآخرة هي دار الخلود، وليست مرحلة اختبار للعباد.

فظاهر الملك في الدنيا لأحد غير الله، هو أمر تقتضيه طبيعة الحياة الدنيا، من أنها امتحان يمر به الإنسان، ليوصله إلى الجنة أو النار.

أما في الآخرة فظاهر الملك يختفي كما تختفي الأسباب: {يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} (١).

والله تبارك وتعالى كما أنه خالق كل شيء، فهو مالك كل شيء، ومدبر كل شيء، ولكنه استخلفنا في الدنيا في مال أو حكم أو سلطان بإذنه وبأمره، متى شاء وكيف شاء، كما قال سبحانه: { وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ }(٢) .

(١) سورة غافر _ الآية ١٦ .
(٢) سورة الحديد _ الآية ٧ .

فالله عزَّ وجلَّ استخلفنا في الأرض والأموال والمناصب ليرى ماذا نفعل؟ هل نطيعه فيها أم نعصيه؟ وهل نعتمد عليها، أم نتوكل على الله وحده؟كما قال سبحانه: { قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ } (١).

والله سبحانه خلق ما في الأرض جميعاً، وخلق لها الأسباب التي تحصل بها، والعوامل التي تحكمها، إظهاراً لكمال قدرته، وابتلاء العباد.

ولكن هذه العوامل والأسباب لا يمكن أن تكون قيداً على قدرة الله سبحانه، ذلك أن الله لو قضى بالأسباب وحدها في الأرض، لعبد الناس الأسباب وحدها، ونسوا المسبب الخالق سبحانه.

ولذلك بقيت طلاقة قدرة الله في الكون، لتلفت الناس إلى أن الذي خلق الأسباب، لا تقيده هذه الأسباب في قدرته.

فله (سبحانه وتعالى) سنة .. وله قدرة .. فسنته جارية .. وقدرته مطلقة لا يحكمها شيء.

وهو يفعل ما يشاء في أي وقت شاء، ولكن ظهور القدرة لا يحدث إلا بين حين وآخر، لأنها ليست حكم الله في الدنيا ولا سنته، ولا هي وسيلة الحياة فيها.

وإذا حدثت طلاقة القدرة كل يوم انتفت الأسباب، ولم يعد لأسباب الدنيا وجود، ولكنها تأتي لفتة كما خرج الماء من الحجر لموسى - ﷺ- كما قال

(١) سورة الأعراف _ الآية ١٢٩.

سبحانه: { وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } (١) ، وكما خرج الماء من بين أصابع الرسول - ﷺ- في الحديبية وفي الزَّوْرَاءِ (٢).

فظهور قدرة الله أحياناً، تلفت الناس إلى القدرة الإلهية التي هي فوق الأسباب، حتى لا تعبد الأسباب، وهي في مجيئها مكلفة من الله سبحانه بأمره.

فقد ينخفض محصول القمح مثلاً، مع أن الأسباب اللازمة كلها متوفرة، ولكن الأرض رفضت أن تنفعل بالأسباب بأمر الله، لماذا؟ إنها لفتة من الله حتى لا نعبد الأسباب، ونترك الله.

فالدنيا دار الأسباب والعمل، وتظهر قدرة الله أحياناً بدون الأسباب لمن شاء وهم المؤمنون، ولكن سنة الله وقدرته في الحياة الدنيا عموماً تظهر بالأسباب، لأن ظهور القدرة الإلهية مباشرة بدون الأسباب في الآخرة.

فكل شيء في الآخرة يأتي العبد بمجرد ما يجول في خاطره أو يفكر فيه، لا عمل في الآخرة ولا سعي، وإنما نعيم ورضوان من الله، وعطاء بلا حدود ولا نفاد.

---

(١) سورة البقرة _ الآية ٦٠ .

(٢)عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِنَاءٍ وَهُوَ بِالزَّوْرَاءِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ قَالَ قَتَادَةُ قُلْتُ لِأَنَسٍ كَمْ كُنْتُمْ قَالَ ثَلَاثَ مِائَةٍ أَوْ زُهَاءَ ثَلَاثِ مِائَةٍ.(صحيح البخاري» كتاب المناقب» باب علامات النبوة في الإسلام _ رقم الحديث ٣٣٧٩).

أما في الدنيا فهناك طريق الأسباب لعموم الناس، ومعه عطاء الرب بلا أسباب، وهذا خاص بالمؤمنين.

وأرزاق الأحياء مخفية وراء الأسباب التي أمرنا الله بها، ولكن الله يعطي إذا شاء بغير حساب، وبغير أسباب، لمن شاء من عباده كما قال سبحانه عن مريم: { كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } (١).

فالأسباب ليس بيدها شيء، ولكنها وسيلة للحصول على الرزق الذي كتبه الله للعبد، ولذلك أمرنا الله بذكره عند مباشرة الأسباب كما قال سبحانه: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (٢).

فالأرزاق كلها بيد الرزاق وحده، والأسباب وسيلة للوصول إليها، والله خالق الرزق، وخالق المرزوق، وخالق السبب الموصل إلى الرزق: { ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ } (٣).

والاستعانة بالله في كل عمل استعانة بالقادر الذي لا يعجزه شيء، ورد الفعل إلى الفاعل الذي بيده كل شيء.

---

(١) سورة آل عمران ـ ٣٧.
(٢) سورة الجمعة ـ الآية ١٠.
(٣) سورة الأنعام ـ الآية ١٠٢.

فالأسباب تعمل بأمر الله، ونسبة العمل إلى الأسباب وحدها تبعدنا عن الله سبحانه.

فالله مالكها، ومالك الكون كله، وهي لا تخرج عن تدبيره وأمره.

ولقد مكن الله بعض خلقه من الأسباب الظاهرة في الأرض، فهذا رئيس دولة .. وهذا ميسر له أسباب النفوذ والسلطان .. وهذا ميسر له أسباب المال، وجعل الله العطاء ظاهراً فقط من هذه الأسباب ليسير الكون فماذا حدث؟.

لقد ظن أكثر الناس أن عطاء الأسباب في يد هؤلاء وحدهم، وأن مخالفتهم ستؤدي إلى الحرمان من مقومات الحياة، وأن طاعتهم ولو في معصية الله ستعطي الإنسان الحياة الرغدة التي يتمناها، فماذا حصل؟.

لقد وقف الناس بأبوابهم لا يرجون إلا إياهم، ولا يخافون إلا منهم، وازدحم الناس على باب العبد الفقير، أما باب الملك الغني القوي العزيز فقلما يقف عليه أحد، وهذه خطورة الأخذ بالأسباب وحدها.

وهي خطورة تعرض الكون كله للاختلال والفساد، وتكثر من البغي في الأرض، والشرك بالله، والإعراض عنه، والاعتماد على غيره.

فالأسباب نؤمن بها ولا نتوكل عليها، بل نباشرها ونتوكل على الله وحده.

وما من أمة عبدت الأسباب، إلا انتشر فيها الظلم، وعم فيها الإرهاب والفوضى، وضاع فيها الحق، وقام فيها سوق الباطل، واستعبد فيها الإنسان، وضل عن ربه، وحل بها البلاء والعقوبة، كما حكى الله أحوال أهل الأسباب في سورة الأعراف وهود والشعراء.

إن ظهور القدرة الإلهية، بجانب الأسباب تنبيه للناس ليعلموا أن الله هو الذي أعطى الأسباب، ويستطيع كما أعطاها أن يمنعها، فهو الذي بيده كل شيء.. فمن ترك المسبب وعبد السبب فقد ضل.

فمن كان يملك الجاه والسلطان ثم أصبح طريداً لا يجد من يصافحه.

ومن ينتقل من الحكم إلى السجن، ومن يخرج من السجن إلى الحكم، ومن كان يملك الثروة والأموال ثم أصبح فقيراً تجمع له الصدقات.

كل ذلك وغيره يحدث أمامنا ليذكرنا بقدرة الله وحكمته ومشيئته، وأنه هو الذي يعطي الملك والجاه والسلطان، وهو الذي يسلبها إذا شاء.

فإذا عبد الناس هذه الأسباب، وانطلقوا يسجدون لها أزالها الله، ولكن لماذا؟.

لكي يفيق الناس ويعلموا أن الله هو الذي أعطى الأسباب، وأن هذه الأسباب ليست ذاتية للحاكم أو الغني.

ولو كانت ذاتية لما زالت عنه، بل جميع المخلوقات والأسباب ملك لله وحده: { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (١).

وجميع الأسباب التي خلقها الله في قبضة الله، فهي لا تعمل بذاتها، ولا تعطي بذاتها، وإنما تعمل وتعطي بإرادة الله، الذي هو على كل شيء قدير، والذي ترى قدرته في ضعيف ينصره الله على قوي كما نصر الله موسى على الطاغية الجبار فرعون، ونرى قدرته في مظلوم ينصره الله على ظالم.

---

(١) سورة آل عمران _ الآية ٢٦.

وحين تضيق الأسباب وتعجز، يأتي فرج الله كما قال سبحانه للنبي - ﷺ- وأصحابه: { وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }(١) .

فإذا انتصر قوي على ضعيف فهنا ظهور قدرة الله بالأسباب، وإذا انتصر ضعيف على قوي فهنا ظهور قدرة الله بضد الأسباب، وتارة تظهر قدرة الله بدون الأسباب: { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } (٢).

والمؤمن إذا عزت عليه الأسباب توجه إلى ربه فسأله، لأنه يعلم أنه إذا كانت الأسباب لا تعطيه، فإن الله الذي خلق كل شيء، وبيده كل شيء قادر أن يعطيه بدون الأسباب، وينجيه كما أنجى يونس في الظلمات حين ناداه: {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ } (٣).

وكما طلب زكريا الولد مع كبر سنه وسن زوجته فاستجاب الله له كما قال سبحانه: { يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا }(٤).

---

(١) سورة الأنفال _ الآية ٢٦.
(٢) سورة يس _ الآية ٨٢.
(٣) سورة الأنبياء_ الآيتان ٨٧، ٨٨.
(٤) سورة مريم _ الآيات من ٧: ٩.

ولكل مؤمن حظ من الاستفادة من قدرة الله فإن الله لا يعجزه شيء، والمؤمن لا ييأس كما أمره الله بقوله: {وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِّ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِّ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} (١).

فحين تضيق الأسباب بالناس، وتغلق الدنيا أبوابها أمامهم، الكافر وغير المؤمن بالله يصيبه يأس قاتل ينتهي به إما إلى الجنون أو الانتحار.

أما المؤمن بقضاء الله وقدره فيظل ثابتاً لا تزعزعه الأحداث، ويتوجه إلى ربه وهو مؤمن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الله سيجعل له بعد العسر يسراً، ويجعل له بعد الكرب فرجاً ومخرجاً: {وَمَنْ يَتَّقِ اللهَّ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِّ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَّ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} (٢)(٣).

---

(١) سورة يوسف ٨٧ .

(٢) سورة الطلاق _ الآيتان ٢، ٣.

(٣) انظر كتاب فقه القلوب _ الباب الرابع _ كتاب الإيمان - فقه خلق الأسباب من صـ ٩٦٤ : ٩٦٦.

طريق
إصلاح اليقين في القلب

يتغير اليقين بدعوة الناس:

١. من المخلوق إلى الخالق.

٢. من الأسباب والأشياء إلى الله تعالى.

٣. من الدنيا إلى الآخرة.

أولا: من المخلوق إلى الخالق:

قال تعالى:﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(١).

وقال تعالى:﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾(٢).

(١) سورة آل عمران – الآيتان ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة الأنعام – الآية ٥٩.

وقال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١).

وإليك بعض الأمثلة:

المثال الأول: قصة إبراهيم والنمرود: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ : قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ (ﷺ) حِينَ قَالُوا: (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) " رواه الْبُخَارِيُّ .

فإبراهيم عندما أتته الملائكة فلم يلتفت لهم، بل توجه إلى الله تعالى.

---

(١) سورة الأنعام – الآيات من ٧٤ : ٨١.

فقَدْ رُوِيَ أَنَّ جِبْرِيلَ قَالَ : هَلْ لَك مِنْ حَاجَةٍ ؟ قَالَ " أَمَّا إلَيْك فَلَا " وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ(١) .

المثال الثاني: والنبي في الغار ما نظر للأسباب، بل نظر إلى معية الله: فعن أبي بكر الصديق ﷺ قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ):" يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا ؟ ". وفي رواية: « عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِأَقْدَامِ الْقَوْمِ ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ طَأْطَأَ بَصَرَهُ رَآنَا ، قَالَ: " اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ اثْنَانِ اللهُ ثَالِثُهُمَا " .أخرجه البخاري(٢).

المثال الثالث: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا ، فَقَالَ : يَا غُلَامُ ، " إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ " ، قَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ (٣).

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية» العقيدة» كتاب توحيد الألوهية» رسالة في التوسل والوسيلة» حكم سُؤَالِ الْخَلْقِ الْحَاجَاتِ الدُّنْيَوِيَّةَ.

٢) رياض الصالحين ـ باب اليقين والتوكل.

٣) سنن الترمذي ـ رقم الحديث:(٢٤٥٣)، مسند أحمد بن حنبل » مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ... » وَمِنْ مُسْنَدِ بَنِي هَاشِمٍ- رقم الحديث: (٢٦٦٠) وغيرهما .

المثال الرابع: عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهَّ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللهَّ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكَتْهُمْ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) تَحْتَ سَمُرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ وَنِمْنَا نَوْمَةً فَإِذَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ يَدْعُونَا وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ (١) فَقَالَ:" إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي فَقُلْتُ اللهُّ ثَلَاثًا وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ " مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية قَالَ جَابرٌ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بِذَاتِ الرِّقَاعِ، فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لرسول الله ﷺ فجاء رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَسَيفُ رَسُول الله ﷺ معَلَّقٌ بالشَّجَرَةِ فَاخْتَرَطَهُ، فَقَالَ: تَخَافُنِي ؟ قَالَ: " لاَ " فَقَالَ :" فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟" قَالَ :" الله ".

وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي في صحيحه"، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: "اللهُ ".قَالَ: فَسَقَطَ السيفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَ رسولُ الله ﷺ السَّيْفَ، فَقَالَ:" مَنْ يَمْنَعُكَ مني ؟ ". فَقَالَ: كُنْ خَيرَ آخِذٍ. فَقَالَ:" تَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله وَأَنِّي رَسُول الله ؟" قَالَ: لاَ، وَلكنِّي أُعَاهِدُكَ أنْ لا أُقَاتِلَكَ، وَلاَ أَكُونَ مَعَ قَومٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبيلَهُ، فَأَتَى أصْحَابَهُ، فَقَالَ: جئتُكُمْ مِنْ عنْد خَيْرِ النَّاسِ (٢).

---

(١) اسمه: غورث بن الحارث.

(٢) رياض الصالحين _ باب اليقين والتوكل.

المثال الخامس: فِي الْمُسْنَدِ لِأَحْمَدَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ كَانَ يَسْقُطُ السَّوْطُ مِنْ يَدِهِ فَلَا يَقُولُ لِأَحَدٍ نَاوِلْنِي إِيَّاهُ وَيَقُولُ : إِنَّ خَلِيلِي أَمَرَنِي أَنْ لَا أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا (١).

عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي الْحَبِيبُ الْأَمِينُ أَمَّا هُوَ فَحَبِيبٌ إِلَيَّ وَأَمَّا هُوَ عِنْدِي فَأَمِينٌ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ قَالَ :كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ:" أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ؟" وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ثُمَّ قَالَ:" أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ؟" فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! ثُمَّ قَالَ أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ:" عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَتُطِيعُوا - وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً - وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا "فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ (٢)(٣).

المثال السادس: يونس (عليه السلام) في بطن الحوت، وهو مكان الهلاك ، توجه إلى الله تعالى {وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي

---

(١) منهاج السنة النبوية» الفصل الثالث في الأدلة الدالة على إمامة علي رضي الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم» المنهج الثالث عند الرافضي في الأدلة المستندة إلى السنة على إمامة علي رضي الله عنه» الثامن حديث الطائر، مجموع فتاوى ابن تيمية» العقيدة» كتاب توحيد الألوهية» رسالة في التوسل والوسيلة» حكم سُؤَالِ الْخَلْقِ الْحَاجَاتِ الدُّنْيَوِيَّةَ.

(٢) صحيح مسلم» كتاب الزكاة» باب كراهة المسألة للناس(١٠٤٣).

(٣) وَفِيهِ: الْحَثُّ عَلَى التَّنْزِيهِ عَنْ جَمِيعِ مَا يُسَمَّى سُؤَالًا وَإِنْ كَانَ حَقِيرًا (شرح النووي).

الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ }(١).

يقول الشيخ محمد عمر البالمبوري (رحمه الله): بتعظيم الأمر، يأتي عظمة الآمر في القلب، وبعظمة الآمر يسهل امتثال الأوامر .. فلا بد من بيان عظمة الله وكبريائه، كما قال الله تعالى: { وَلَهُ الْكِبْرِيَاء فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }(٢)، وقال تعالى: {وَقُلِ الْحَمْدُ للهِّ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا }(٣) وقال تعالى :{وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ }(٤). فنكبر الله ﷻ ونصغر كل ما سواه، نكبر الله ﷻ ونصغر السماوات السبع ، نكبر الله ﷻ ونصغر الأرضين السبع، نكبر الله ﷻ ونصغر الجبال ، نكبر الله ﷻ ونصغر البحار، نكبر الله ﷻ ونصغر النيران، نكبر الله ﷻ ونصغر طواغيت الزمان، كما كبر الصحابة رضي الله عنهم الله ﷻ وصغروا كل ما سواه .

ومن سنة الله ﷻ : لما نكبر الله ﷻ ونصغر ما سواه، فيسخر الله لنا ما سواه، وهذا هو السر لتسخير البحار والنيران والسباع والأسود والهواء لأصحاب محمد ﷺ.. لأنهم صغروا كل مخلوق فسخر الله لهم كل مخلوق. (١).

---

(١) سورة الأنبياء _ الآية ٨٧، ٨٨.
٢) سورة الجاثية _ الآية ٣٧.
٣) سورة الإسراء _ الآية ١١١.
٤) سورة المدثر _ الآية ٣.
١) كتاب روائع العلامة محمد عمر البالمبوري بقلم المؤلف.

التفصيل: يقول الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (رحمه الله):

- الله ﷻ قادر على إزالة الجوع بدون الطعام(كأصحاب الكهف، والملائكة لا يأكلون ولا يشربون وطعامهم التسبيح والتهليل، وكذلك في آخر الزمان الذين يكونوا مع سيدنا عيسى على جبل الطور يكون طعامهم التسبيح والتهليل كالملائكة، والناس في أرض المحشر خمسين ألف سنة لا يأكلون ولا يشربون إلا من يشرب من حوض النبي).
- والله قادر على إزالة العطش بدون الماء.
- وقادر على إعطاء الشفاء بدون الدواء.
- وقادر على خلق الثمر بدون الشجر.
- وقادر على خلق الإنسان وتربيته بدون الوالدين .
- وقادر على إنبات النبات بدون المطر.
- وقادر على إحراق الشيء بدون النار .
- وقادر على قضاء الحوائج بدون أي سبب وأي كسب .
- وقادر على إعطاء العزة في صورة الذلة وقادر على إنزال الذلة في صورة العزة.
- وقادر على إعطاء النجاة في صورة الهلاك، وعلى إعطاء الهلاك في صورة النجاة.
- وقادر على إعطاء الغلبة لفئة قليلة بدون السلاح.
- وقادر على إتيان الخوف في صورة الأمن ، والأمن في صورة الخوف.

وخلاصة الكلام:

أن العزة والذلة والمرض والصحة والضر والنفع والأمن والخوف والصلح والحرب والفتح والهزيمة والضحك والبكاء والفقر والغنى والحياة والموت ..الخ . كل ذلك بيد الله ﷻ وتصرفه وهو لا يحتاج إلى أحد من خلقه ولا إلى أي سبب والمخلوقات كلها محتاجة إلى الله في خلقهم وصفاتهم واستعمالهم والمخلوقات كلها لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا يملكون ضراً ولا نفعاً (١).

ثانيا: من الأشياء والأسباب إلى الأعمال:

قال تعالى:{ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا }(٢).

وقال تعالى:{ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ}(٣).

وقال تعالى:{ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ* هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَنَادَتْهُ

١) الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي – مؤلف حياة الصحابة .
٢) سورة نوح _ الآيات من ١٠: ١٢ .
٣) سورة هود _ الآية ٥٢.

الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ}(١).

وإليك بعض الأمثلة من السنة والسيرة:

المثال الأول: عن عُبَيْدُ اللهِ بْنُ سَلْمَانَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَهُ قَالَ لَمَّا فَتَحْنَا خَيْبَرَ أَخْرَجُوا غَنَائِمَهُمْ مِنْ الْمَتَاعِ وَالسَّبْيِ فَجَعَلَ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ غَنَائِمَهُمْ فَجَاءَ رَجُلٌ حِينَ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! لَقَدْ رَبِحْتُ رِبْحًا مَا رَبِحَ الْيَوْمَ مِثْلَهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْوَادِي قَالَ وَيْحَكَ وَمَا رَبِحْتَ قَالَ مَا زِلْتُ أَبِيعُ وَأَبْتَاعُ حَتَّى رَبِحْتُ ثَلَاثَ مِائَةِ أُوقِيَّةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَنَا أُنَبِّئُكَ بِخَيْرِ رَجُلٍ رَبِحَ قَالَ مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ:" رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الصَّلَاةِ "(٢).فالنبي وجهه للأعمال.

المثال الثاني: عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأَعِنِّي، قَالَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) ، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ ثبيرٍ(٣) دَيْنًا أَدَّاهُ اللهُ عَنْكَ ؟ قَالَ: قُلْ: (اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ)رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

المثال الثالث: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلّى الله

---

١) سورة آل عمران _ الآيات ٣٧: ٣٩.

٢) سنن أبي داود » كتاب الجهاد» بَاب فِي التِّجَارَةِ فِي الْغَزْوِ (٢٧٨٥).

٣) جبل باليمن، وقيل بالقرب من مكة، وفي رواية صبير جبل لطيء.

عليه وسلّم لِمُعَاذٍ رضي الله عنه: ((أَلاَ أُعَلِّمُكَ دُعَاءً تَدْعُو بِهِ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ دَيْنًا لَأَدَّاهُ اللهُ عَنْكَ ؟ قُلْ يَا مُعَاذُ: اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ، بِيَدِكَ الخَيْرُ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَحْمَانَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا، تُعْطِيهُمَا مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ مِنْهُمَا مَنْ تَشَاءُ، اِرْحَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ)) (١).

المثال الرابع :عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِّ، سَمِعْتُ دُعَاءَكَ اللَّيْلَةَ، فَكَانَ الَّذِي وَصَلَ إِلَيَّ مِنْهُ أَنَّكَ تَقُولُ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي، وَبَارِكْ لِي فِيمَا رَزَقْتَنِي. قَالَ: فَهَلْ تَرَاهُنَّ تَرَكْنَ شَيْئًا؟)

وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

المثال الخامس : فِي " سُنَنِ أبي داود " عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ دَخَلَ رَسُولُ اللهَّ -ﷺ- ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ فَقَالَ « يَا أَبَا أُمَامَةَ مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلاَةِ ». قَالَ هُمُومٌ لَزِمَتْنِي وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللهَّ. قَالَ « أَفَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلاَمًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ ». قَالَ قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللهَّ. قَالَ « قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحُزَنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ ». قَالَ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ هَمِّى وَقَضَى عَنِّى دَيْنِي.

المثال السادس : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : جَاءَ مَالِكٌ الْأَشْجَعِيُّ إِلَى رَسُولِ

---

١) رواه الطّبراني في" الأوسط " بسند جيّد، وصحّحه الألباني في" صحيح التّرغيب والتّرهيب ".

اللهَّ – ﷺ– فَقَالَ : لَهُ أُسِرَ ابْنِي عَوْفٌ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهَّ – ﷺ – : " أَرْسِلْ إِلَيْهِ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهَّ " . وَكَانُوا قَدْ شَدُّوهُ بِالْقِدِّ فَسَقَطَ الْقِدُّ عَنْهُ ، فَخَرَجَ ، فَإِذَا هُوَ بِنَاقَةٍ لَهُمْ فَرَكِبَهَا، وَأَقْبَلَ فَإِذَا بِسَرْحِ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ شَدُّوهُ فَصَاحَ بِهِمْ ، فَاتَّبَعَ أَوَّلُهَا آخِرَهَا ، فَلَمْ يَفْجَأْ أَبَوَيْهِ إِلَّا وَهُوَ يُنَادِي بِالْبَابِ، فَقَالَ أَبُوهُ: عَوْفٌ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ . فَقَالَتْ أُمُّهُ : وَاسَوْأَتَاهْ . وَعَوْفٌ كَيْفَ يَقْدَمُ لِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْقِدِّ – فَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَالْخَادِمَ ، فَإِذَا عَوْفٌ قَدْ مَلَأَ الْفِنَاءَ إِبِلًا فَقَصَّ عَلَى أَبِيهِ أَمْرَهُ ، وَأَمْرَ الْإِبِلِ، فَقَالَ أَبُوهُ : قِفَا حَتَّى آتِيَ رَسُولَ اللهَّ – ﷺ – فَأَسْأَلُهُ عَنْهَا . فَأَتَى رَسُولَ اللهَّ – ﷺ – فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِ عَوْفٍ ، وَخَبَرِ الْإِبِلِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهَّ – ﷺ – : " اصْنَعْ بِهَا مَا أَحْبَبْتَ، وَمَا كُنْتَ صَانِعًا بِمَالِكَ". وَنَزَلَ: { وَمَنْ يَتَّقِ اللهَّ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ } (١).

المثال: السابع: عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفْلَةَ ، قَالَ : أَصَابَتْ عَلِيًّا خَصَاصَةٌ . فَقَالَ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهَا: لَوْ أَتَيْتِ النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلْتِيهِ. فَأَتَتْهُ، وَكَانَ عِنْدَ أُمِّ أَيْمَنَ ، فَدَقَّتِ الْبَابَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُمِّ أَيْمَنَ : إِنَّ هَذَا لَدَقُّ فَاطِمَةَ ، وَلَقَدْ أَتَتْنَا فِي سَاعَةٍ مَا عَوَّدَتْنَا أَنْ تَأْتِيَنَا فِي مِثْلِهَا ، قُومِي فَافْتَحِي لَهَا ". قَالَتْ: فَفَتَحْتُ لَهَا الْبَابَ. فَقَالَ: " يَا فَاطِمَةُ لَقَدْ أَتَيْتِنَا فِي سَاعَةٍ مَا عَوَّدْتِنَا أَنْ تَأْتِينَا فِي مِثْلِهَا ". فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهَّ هَذِهِ الْمَلائِكَةُ طَعَامُهَا التَّهْلِيلُ وَالتَّسْبِيحُ

---

١) تفسير ابن كثير _ سورة الطلاق.

وَالتَّحْمِيدُ، فَمَا طَعَامُنَا ؟ فَقَالَ: " وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا اقْتُبِسَ فِي آلِ مُحَمَّدٍ نَارٌ مُنْذُ ثَلاثِينَ يَوْمًا، وَقَدْ أَتَتْنَا أَعْنُزٌ، فَإِنْ شِئْتِ أَمَرْتُ لَكِ بِخَمْسَةِ أَعْنُزٍ، وَإِنْ شِئْتِ عَلَّمْتُكِ خَمْسَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا ". قَالَتْ: بَلَى عَلِّمْنِي خَمْسَ كَلِمَاتٍ الَّتِي عَلَّمَكَهُنَّ جِبْرِيلُ . قَالَ: " قُولِي : يَا أَوَّلَ الأَوَّلِينَ ، وَيَا آخِرَ الآخِرِينَ ، وَيَا ذَا الْقُوَّةِ الْمَتِينَ، وَيَا رَاحِمَ الْمَسَاكِينِ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ" قَالَ : فَانْصَرَفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا وَرَاءَكِ ؟ فَقَالَتْ ذَهَبْتُ مِنْ عِنْدِكَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَتَيْتُكَ بِالآخِرَةِ . فَقَالَ: خَيْرُ أَيَّامِكِ، خَيْرُ أَيَّامِكِ (١).

المثال: الثامن: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ فَاطِمَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ - ﷺ - تَسْأَلُهُ خَادِمًا وَشَكَتِ الْعَمَلَ، فَقَالَ: مَا أَلْفَيْتِيهِ عِنْدَنَا، قَالَ: " أَلَا أَدُلُّكِ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكِ مِنْ خَادِمٍ ؟ تُسَبِّحِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرِينَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ حِينَ تَأْخُذِينَ مَضْجَعَكِ "(٢).

وفي سنن أبي داود:" عَنْ ابْنِ أَعْبُدَ ، قَالَ : قَالَ لِي عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَلَا أُحَدِّثُكَ عَنِّي وَعَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَتْ مِنْ أَحَبِّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ ؟ قُلْتُ: بَلَى قَالَ : إِنَّهَا جَرَّتْ بِالرَّحَى حَتَّى أَثَّرَ فِي يَدِهَا ، وَاسْتَقَتْ بِالْقِرْبَةِ حَتَّى أَثَّرَ فِي نَحْرِهَا وَكَنَسَتِ الْبَيْتَ حَتَّى اغْبَرَّتْ ثِيَابُهَا ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ خَدَمٌ ، فَقُلْتُ : لَوْ

---

١) أخرجه الطبراني في" الدعاء" (٣١٩/١) ، والشجري في "الأمالي الخميسية" (٣٢٥/١) . ومن طريق الطبراني :أبو الفرج الثقفي في "فوائده" (مخطوط).

٢) صحيح مسلم » كِتَاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ... » بَاب التَّسْبِيحِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَعِنْدَ النَّوْمِ – رقم الحديث: ٤٩١٣.

أَتَيْتِ أَبَاكِ فَسَأَلْتِيهِ خَادِمًا، فَأَتَتْهُ فَوَجَدَتْ عِنْدَهُ حُدَّاثًا فَرَجَعَتْ فَأَتَاهَا مِنَ الْغَدِ فَقَالَ: مَا كَانَ حَاجَتُكِ ؟ فَسَكَتَتْ ، فَقُلْتُ أَنَا أُحَدِّثُكَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ جَرَّتْ بِالرَّحَى حَتَّى أَثَّرَتْ فِي يَدِهَا وَحَمَلَتْ بِالْقِرْبَةِ حَتَّى أَثَّرَتْ فِي نَحْرِهَا فَلَمَّا أَنْ جَاءَكَ الْخَدَمُ أَمَرْتُهَا أَنْ تَأْتِيَكَ فَتَسْتَخْدِمَكَ خَادِمًا يَقِيهَا حَرَّ مَا هِيَ فِيهِ، قَالَ : " اتَّقِي اللَّهَ يَا فَاطِمَةُ وَأَدِّي فَرِيضَةَ رَبِّكِ وَاعْمَلِي عَمَلَ أَهْلِكِ ، فَإِذَا أَخَذْتِ مَضْجَعَكِ، فَسَبِّحِي ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَاحْمَدِي ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَكَبِّرِي أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ فَتِلْكَ مِائَةٌ فَهِيَ خَيْرٌ لَكِ مِنْ خَادِمٍ " ، قَالَتْ : رَضِيتُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ(١).

المثال: التاسع: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ:" بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمْ الْمَطَرُ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ: بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ فَقَالَ أَحَدُهُمْ اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَامْرَأَتِي وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا

---

١) سنن أبي داود » كِتَاب الْخَرَاجِ وَالْإِمَارَةِ وَالْفَيْءِ » بَاب فِي بَيَانِ مَوَاضِعِ قَسْمِ الْخُمُسِ وَسَهْمِ ...رقم الحديث: ٢٥٩٨.

فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ فَفَرَجَ اللهُ مِنْهَا فُرْجَةً فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَتَعِبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَجِئْتُهَا بِهَا فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ يَا عَبْدَ اللهِ اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفْتَحْ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ عَنْهَا فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً فَفَرَجَ لَهُمْ وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ أَعْطِنِي حَقِّي فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا فَجَاءَنِي فَقَالَ اتَّقِ اللهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي قُلْتُ اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا فَخُذْهَا فَقَالَ اتَّقِ اللهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي(١).

انقطعت بهم كل الأسباب المادية، فتوسلوا إلى الله بالأعمال، فنجاهم الله.

المثال العاشر: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: " بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ يُقَالُ لَهُ قَبِيصَةُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا جَاءَ بِكَ ، وَقَدْ كَبِرَتْ سِنُّكَ ، وَرَقَّ عَظْمُكَ ؟) ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، كَبِرَتْ سِنِّي، وَرقَّ عَظْمِي ، وَضَعُفَتْ قُوَّتِي ، وَاقْتَرَبَ أَجْلِي . فَقَالَ: (أَعِدْ عَلَيَّ قَوْلَكَ) ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): (مَا بَقِيَ حَوْلَكَ شَجَرٌ، وَلَا حَجَرٌ، وَلَا مَدَرٌ، إِلَّا بَكَى رَحْمَةً لِقَوْلِكَ ، فَهَاتِ حَاجَتَكَ ، فَقَدْ وَجَبَ

١) صحيح البخاري» كتاب البيوع» باب إذا اشترى شيئا لغيره بغير إذنه فرضي ـ باب إذا اشترى شيئا لغيره بغير إذنه فرضي (٢١٠٢)، صحيح مسلم» كتاب الرقاق» بَاب قِصَّةِ أَصْحَابِ الْغَارِ الثَّلَاثَةِ وَالتَّوَسُّلِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ (٢٧٤٣) واللفظ لمسلم.

حَقُّكَ ؟ (فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا يَنْفَعُنِي اللهُّ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلَا تُكْثِرْ عَلَيَّ؛ فَإِنِّي شَيْخٌ نَسِيٌّ . قَالَ: " أَمَّا لِدُنْيَاكَ ، فَإِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ فَقُلْ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ : سُبْحَانَ اللهَّ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهَّ ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يُوقِيكَ اللهُّ مِنْ بَلَايَا أَرْبَعٍ : مِنَ الجُذَامِ ، وَالجُنُونِ ، وَالْعَمَى ، وَالْفَالِجِ .فَأَمَّا لِآخِرَتِكَ ، فَقُلِ : اللَّهُمَّ اهْدِنِي مِنْ عِنْدِكَ ، وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ ، وَانْشُرْ عَلَيَّ مِنْ رَحْمَتِكَ ، وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ " فَقَالَهَا الشَّيْخُ ، وَعَقَدَ أَصَابِعَهُ الْأَرْبَعَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ: خَالُكَ هَذَا يَا رَسُولَ اللهَّ ، مَا أَشَدَّ مَا ضَمَّ عَلَى أَصَابِعِهِ الْأَرْبَعِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ): " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ وَفَّى بِهِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَدَعْهُنَّ، لَيُفْتَحَنَّ لَهُ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ مِنَ الجَنَّةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ " (١).

المثال الحادي عشر: أخرج الخَطِيب فِي رُوَاة مَالك عَن ابْن عمر أَن رجلا قَالَ يَا رَسُول اللهّ إِن الدُّنْيَا أَدْبَرت عني وتولت قَالَ لَهُ:" فَأَيْنَ أَنْت من صَلَاة

---

١) رواه الطبراني في "المعجم الكبير" (٩٤٠)، وأبو نعيم في "المعرفة" (٥٧٤٢)، وابن الأثير في "أسد الغابة" (٣٦٦/٤)، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (١٣٣) واللفظ له ورواه الإمام أحمد (٢٠٦٠٢) عن رَجُل مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ، قَالَ: " أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ لِي:(يَا قَبِيصَةُ مَا جَاءَ بِكَ؟)، قُلْتُ: كَبِرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، فَأَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مَا يَنْفَعُنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ، قَالَ:(يَا قَبِيصَةُ، مَا مَرَرْتَ بِحَجَرٍ، وَلَا شَجَرٍ، وَلَا مَدَرٍ، إِلَّا اسْتَغْفَرَ لَكَ، يَا قَبِيصَةُ، إِذَا صَلَّيْتَ الْفَجْرَ، فَقُلْ: سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، تُعَافَى مِنَ الْعَمَى، وَالْجُذَامِ، وَالْفَالِجِ، يَا قَبِيصَةُ، قُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِمَّا عِنْدَكَ، وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ، وَانْشُرْ عَلَيَّ رَحْمَتَكَ،وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ= = بَرَكَاتِكَ).وإسناده ضعيف؛ لجهالة راويه عن قبيصة رضي الله عنه .وقال محققو المسند : إسناده ضعيف .

الْمَلَائِكَة وتسبيح الْخَلَائق وَبِه يرْزقُونَ، قل عِنْد طُلُوع الْفجْر سُبْحَانَ اللهّ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهّ الْعَظِيم اسْتغْفر اللهّ مائَة، مرّة تَأْتِيك الدُّنْيَا صاغرة فولى الرجل فَمَكث ثمَّ عَاد فَقَالَ يَا رَسُول اللهّ لقد اقبلت عَليّ الدُّنْيَا فَمَا ادري أَيْن أضعها (١).

المثال الثاني عشر: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ (٢)، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ (١)،

---

١) الخصائص الكبرى السيوطي- بَاب مَا علمه لأَصْحَابه من الدَّعْوَات والرقي وَظَهَرت أثاره – دعاء دفع الفقر، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ١٠/ ٧٧٦.

٢) أَهْلُ الصُّفَّةِ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ كَانُوا يَأْوُونَ إِلَى مَوْضِعٍ مُظَلَّلٍ فِي الْمَسْجِدِ، وَفِي الْقَامُوسِ: أَهْلُ الصُّفَّةِ كَانُوا أَضْيَافَ الْإِسْلَامِ يَبِيتُونَ فِي صُفَّةِ مَسْجِدِهِ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – وَفِي حَاشِيَةِ السُّيُوطِيِّ عَلَى الْبُخَارِيِّ: عَدَّهُمْ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةٍ، وَالصُّفَّةُ مَكَانٌ فِي مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ أُعِدَّ لِنُزُولِ الْغُرَبَاءِ فِيهِ مَنْ لَا مَأْوَى لَهُ وَلَا أَهْلَ، وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَكَانَتْ هِيَ فِي مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ مُعَدَّةٌ لِفُقَرَاءِ أَصْحَابِهِ الْغَيْرِ الْمُتَأَهِّلِينَ، وَكَانُوا يَكْثُرُونَ تَارَةً حَتَّى يَبْلُغُوا نَحْوَ الْمِائَتَيْنِ وَيَقِلُّونَ أُخْرَى لِإِرْسَالِهِمْ فِي الْجِهَادِ وَتَعْلِيمِ الْقُرْآنِ، وَفِي التَّعَرُّفِ إِنَّمَا سُمُّوا صُوفِيَّةً لِقُرْبِ أَوْصَافِهِمْ مِنْ أَوْصَافِ أَهْلِ الصُّفَّةِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِلُبْسِهِمُ الصُّوفَ أَوْ لِصَفَاءِ أَسْرَارِهِمْ أَوْ لِصَفَاءِ مُعَامَلَتِهِمْ لِأَنَّهُمْ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى، أَيْ مِنَ السَّابِقِينَ الْمُسَارِعِينَ فِي الْخَيْرَاتِ وَالْمُبَادِرِينَ فِي الطَّاعَاتِ، ثُمَّ قَالَ: وَأَمَّا مَنْ نَسَبَهُمْ إِلَى الصُّفَّةِ وَالصُّوفِ فَإِنَّهُ عَبَّرَ عَنْ ظَاهِرِ أَحْوَالِهِمْ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَوْمٌ تَرَكُوا الدُّنْيَا فَخَرَجُوا عَنِ الْأَوْطَانِ وَهَجَرُوا الْأَخْدَانَ وَسَاحُوا فِي الْبِلَادِ وَأَجَاعُوا الْأَكْبَادَ وَأَعْرَوُا الْأَجْسَادَ وَلَمْ يَأْخُذُوا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا يَجُوزُ تَرْكُهُ مِنْ سَتْرِ عَوْرَةٍ وَسَدِّ جَوْعَةٍ، فَلِخُرُوجِهِمْ عَنِ الْأَوْطَانِ سُمُّوا غُرَبَاءَ وَلِكَثْرَةِ أَسْفَارِهِمْ سُمُّوا سَيَّاحِينَ وَلِقِلَّةِ أَكْلِهِمْ سُمُّوا جَوْعِيَّةً وَمِنْ تَخْلِيَتِهِمْ عَنِ الْأَمْلَاكِ سُمُّوا فُقَرَاءَ وَلِلُبْسِهِمُ الثَّوْبَ الْخَشِنَ مِنَ =

فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ(٢) فِي غَيْرِ إِثْمٍ ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ ؟، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ(١).

=الشَّعْرِ وَالصُّوفِ سُمُّوا صُوفِيَّةً، ثُمَّ هَذِهِ كُلُّهَا أَحْوَالُ أَهْلِ الصُّفَّةِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- فَإِنَّهُمْ كَانُوا غُرَبَاءَ فُقَرَاءَ مُهَاجِرِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، ووَصَفَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ وَفَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ فَقَالَا: كَانُوا يَخِرُّونَ مِنْ لَوعٍ حَتَّى يَحْسَبَهُمُ الْأَعْرَابُ مَجَانِينَ وَكَانَ لِبَاسُهُمُ الصُّوفَ حَتَّى إِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ لَيَعْرَقَ فِيهِ فَيُوجَدُ مِنْهُ رِيحُ الضَّأْنِ إِذَا أَصَابَهُ الْمَطَرُ (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» كتاب فضائل القرآن(٢١١٠).

١) قَوله:(أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ)، أَيْ يَذْهَبُ فِي الْغُدْوَةِ وَهِيَ أَوَّلُ النَّهَارِ أَوْ يَنْطَلِقُ (كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ (بِضَمِّ الْمُوَحَّدَةِ وَسُكُونِ الطَّاءِ اسْمُ وَادٍ بِالْمَدِينَةِ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِسِعَتِهِ وَانْبِسَاطِهِ مِنَ الْبَطْحِ وَهُوَ الْبَسْطُ، وَضَبَطَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ بِفَتْحِ الْبَاءِ أَيْضًا (أَوِ الْعَقِيقُ (قِيلَ: أَرَادَ الْعَقِيقَ الْأَصْغَرَ وَهُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ أَوْ مِيلَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَخَصَّهُمَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمَا أَقْرَبُ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يُقَامُ فِيهَا أَسْوَاقُ الْإِبِلِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ أَوْ لِلتَّنْوِيعِ، لَكِنَّ فِي جَامِعِ الْأُصُولِ: أَوْ قَالَ إِلَى الْعَقِيقِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ شَكٌّ مِنَ الرَّاوِي.

٢) (فَيَأْتِي بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ) تَثْنِيَةُ كَوْمَاءَ قُلِبَتِ الْهَمْزَةُ وَاوًا وَأَصْلُ الْكَوْمِ الْعُلُوّ، أَيْ فَيَحْصُلُ نَاقَتَيْنِ عَظِيمَتَيِ السَّنَامِ وَهِيَ مِنْ خِيَارِ مَالِ الْعَرَبِ، وَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ حَجَرٍ مِنْ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَضُمُّ الْكَافَ لَا يَظْهَرُ لَهُ وَجْهٌ، وَكَأَنَّهُ وَهْمٌ مِنْهُ لِمَا وَقَعَ فِي مُخْتَصَرِ النِّهَايَةِ: وَنَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى كَوْمٍ هُوَ بِالْفَتْحِ الْمَوَاضِعُ الْمُشْرِفَةُ وَاحِدُهَا كَوْمَةٌ وَمِنْهُ كَوْمَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَمِنْ طَعَامٍ، أَيْ صَبْرَةٌ وَبَعْضُهُمْ يَضُمُّ الْكَافَ، وَقِيلَ: هُوَ بِالضَّمِّ اسْمٌ لِمَا كُوِّمَ وَبِالْفَتْحِ اسْمٌ لِلْفِعْلَةِ الْوَاحِدَةِ وَنَاقَةٌ كَوْمَاءُ مُشْرِفَةُ السَّنَامِ عَالِيَتُهُ(مرقاة).

١) صحيح مسلم كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا - بَابُ فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ وَتَعَلُّمِهِ - حديث رقم ١٣٨٩٠.

المثال الثالث عشر: عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلِفَاتٍ(١) عِظَامٍ سِمَانٍ قُلْنَا نَعَمْ قَالَ فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ "(٢).

المثال الرابع عشر : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ " (٣).

المثال الخامس عشر : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ هَجَّرَ النَّبِيُّ ﷺ فَهَجَّرْتُ فَصَلَّيْتُ ثُمَّ جَلَسْتُ فَالْتَفَتَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ ": اشِكَمَتْ دَرْدْ (١)" قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ:" قُمْ فَصَلِّ فَإِنَّ فِي الصَّلَاةِ شِفَاءً" (٢)(١).

---

١) (الْخَلِفَاتُ) بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَكَسْرِ اللَّامِ، الْحَوَامِلُ مِنَ الْإِبِلِ إِلَى أَنْ يَمْضِيَ عَلَيْهَا نِصْفُ أَمَدِهَا ثُمَّ هِيَ عِشَارٌ، وَالْوَاحِدَةُ خَلِفَةٌ وَعُشَرَاءُ (شرح النووي).

٢) صحيح مسلم» كتاب صلاة المسافرين وقصرها» بَاب فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ وَتَعَلُّمِهِ (٨٠٢).

٣) صحيح مسلم » كِتَاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَار ...» بَاب فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ ...رقم الحديث: ٤٨٦٧).

١)هُوَ بِالْفَارِسِيَّةِ بِمَعْنَى أَتَشْتَكِي بَطْنَكَ كَمَا فَسَّرَهُ بَعْضُ الرُّوَاةِ (حاشية السندي على ابن ماجه).

٢) قَالَ الْمُوَفَّقُ: الصَّلَاةُ قَدْ تُبْرِئُ مِنْ أَلَمِ الْفُؤَادِ وَالْمَعِدَةِ وَالْأَمْعَاءِ وَكَذَلِكَ مِنَ الْآلَامِ؛ وَلِذَلِكَ ثَلَاثُ عِلَلٍ الْأُولَى أَنَّهَا أَمْرٌ إِلَهِيٌّ حَيْثُ كَانَتْ عِبَادَةً يُرِيدُ أَنَّهَا تَدْفَعُ الْأَمْرَاضَ بِالْبَرَكَةِ وَالثَّانِيَةُ أَنَّ النَّفْسَ تَلْهُو فِيهَا عَنِ الْأَلَمِ وَيَقِلُّ إِحْسَاسُهَا فَتَسْتَظْهِرُ الْقُوَّةَ عَلَيْهِ فَإِنَّ قُوَّةَ الْأَعْضَاءِ وَالْمَعِدَةِ بِمَصَالِحِهِ وَحَوَاسِّهِ الَّتِي سَمَّتْهَا الْأَطِبَّاءُ طَبِيعَةً هِيَ الشَّافِيَةُ

المثال السادس عشر: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ، فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَعَادَ بِهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ فَعَجِبَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ شِدَّةِ الْجِبَالِ، قَالُوا: يَا رَبِّ! هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الْجِبَالِ؟ قَالَ: نَعَمْ الْحَدِيدُ، قَالُوا: يَا رَبِّ! فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الْحَدِيدِ؟، قَالَ: نَعَمْ النَّارُ، فَقَالُوا: يَا رَبِّ! فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ النَّارِ؟ قَالَ: نَعَمْ الْمَاءُ، قَالُوا: يَا رَبِّ! فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الْمَاءِ ؟ قَالَ: نَعَمْ

لِلْأَمْرَاضِ بِإِذْنِ خَالِقِهَا وَالْمَاهِرُ مِنَ الْأَطِبَّاءِ يَعْمَلُ كُلَّ حِيلَةٍ فِي تَقْوِيَتِهَا إِنْ كَانَتْ ضَعِيفَةً، وَفِي انْتِبَاهِهَا إِنْ كَانَتْ غَافِلَةً، وَفِي إِلْفَاتِهَا إِنْ كَانَتْ مُعْرِضَةً، وَفِي اسْتِزَادَتِهَا إِنْ كَانَتْ مُقَصِّرَةً تَارَةً بِتَحْرِيكِ السُّرُورِ وَالْفَرَحِ وَتَارَةً بِالْحَيَاءِ وَالْخَوْفِ وَالْخَجَلِ وَتَارَةً بِتَذْكِيرِهَا وَشُغْلِهَا بِعَظَائِمِ الْأُمُورِ وَعَوَاقِبِ الْمَصِيرِ وَأَمْرِ الْمَعَادِ، وَالصَّلَاةُ تَجْمَعُ ذَلِكَ، أَوْ أَكْثَرَهُ إِذْ يَحْضُ الْعَبْدَ فِيهَا خَوْفٌ وَرَجَاءٌ وَأَمَلٌ وَتَذَكُّرُ الْآخِرَةِ وَأَحْوَالِهَا، وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْمُزْمِنَةِ تُشْفَى بِالْأَوْهَامِ ، وَالثَّالِثَةُ: أَمْرٌ ظَنِّيٌّ وَذَلِكَ أَنَّ الصَّلَاةَ رِيَاضَةٌ فَاضِلَةٌ لِلنَّفْسِ؛ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى انْتِصَابٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ وَتَوَرُّكٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْضَاعِ الَّتِي تَتَحَرَّكُ مَعَهَا أَكْثَرُ الْمَفَاصِلِ وَيَنْغَمِرُ= =فِيهَا أَكْثَرُ الْأَعْضَاءِ سِيَّمَا الْمَعِدَةِ وَالْأَمْعَاءِ وَسَائِرِ آلَاتِ التَّنَفُّسِ وَالْغِذَاءِ عِنْدَ السُّجُودِ وَمَا أَنْفَعَ السُّجُودَ الطَّوِيلَ لِصَاحِبِ النَّزْلَةِ وَالزُّكَامِ وَمَا أَنْفَعَ السُّجُودَ لِانْصِبَابِ النَّزْلَةِ إِلَى الْحَلْقِ وَمَا أَشَدَّ إِعَانَةَ السُّجُودِ الطَّوِيلِ عَلَى فَتْحِ سَدَدِ الْمَنْخِرَيْنِ فِي عِلَّةِ الزُّكَامِ وَإِنْضَاجِ مَادَّتِهِ وَمَا أَقْوَى مُعَاوَنَةَ السُّجُودِ عَلَى هَضْمِ الطَّعَامِ مِنَ الْمَعِدَةِ وَالْأَمْعَاءِ وَتَحْرِيكِ الْفُضُولِ الْمُتَخَلِّفَةِ فِيهَا وَإِخْرَاجِهَا إِذْ عِنْدَهُ تَنْحَصِرُ الْآلَاتُ بِازْدِحَامِهَا وَيَتَسَاقَطُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَكَثِيرًا مَا تَسُرُّ الصَّلَاةُ النَّفْسَ وَتَمْحَقُ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ وَتُذِيبُ الْآمَالَ الْخَائِبَةَ وَتَكْشِفُ عَنِ الْأَوْهَامِ الْكَاذِبَةِ وَيَصْفُو فِيهَا الذِّهْنُ وَتُطْفِي نَارَ الْغَضَبِ اهـ . وَفِي الزَّوَائِدِ: فِي إِسْنَادِهِ لَيْثٌ وَهُوَ ابْنُ أَبِي سُلَيْمٍ وَقَدْ ضَعَّفَهُ الْجُمْهُورُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . (حاشية السندي على ابن ماجه).

١) سنن ابن ماجه» كتاب الطب» بَاب الصَّلَاةُ شِفَاءٌ (٣٤٥٨٠).

الرِّيحُ، قَالُوا: يَا رَبِّ ! فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الرِّيحِ؟ قَالَ: نَعَمْ ابْنُ آدَمَ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ بِيَمِينِهِ يُخْفِيهَا مِنْ شِمَالِهِ" قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ(١).

المثال: السابع عشر: عَنِ الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ ، فَقَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ ، اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ "، قَالَ أُبَيٌّ : قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي ؟ فَقَالَ: " مَا شِئْتَ "، قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ ؟ قَالَ: " مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ "، قُلْتُ : النِّصْفَ؟ قَالَ: " مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ " ، قَالَ : قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ ؟ قَالَ: " مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ "، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا ، قَالَ:" إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ " ، قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ (١).

يقول الشيخ محمد عمـر البـالمبوري(*رحمه الله*): إن أراد الله قضاء الحوائج فتنقضي مع الأسباب والأشياء وبدونها، وإن لم يرد الله قضاء الحوائج وحل المشاكل فمع كثرة الأسباب والأشياء لا تنقضي الحوائج ، ولا تحل

---

١) سنن الترمذي» كتاب تفسير القرآن» باب ومن سورة المعوذتين (٣٣٦٩) وأحمد (١٢٢٥٣) باختلاف يسير.

١) سنن الترمذي » كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِق وَالْوَرَعِ ... » بَاب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الْحَوْضِ _ رقم الحديث: ٢٣٩٤٠

المشاكل أبدا ، كما قال الله ﷻ{ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (١) .

وقال تعالى : {وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ } (٢).

وقال تعالى: { وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } (٣).(٤).

- **وهكذا كل الأشياء بدون الله لا تستطيع أن تفعل شيء :**

_ المال لا يفعل شيء، الذي يفعل هو الله.

_التجارة لا تفعل شيء، الذي يفعل هو الله.

_ الصناعة لا تفعل شيء، الذي يفعل هو الله.

_ الحكومة لا تفعل شيء، الذي يفعل هو الله.

_ القبائل لا تفعل شيء، الذي يفعل هو الله.

_ السلاح لا يفعل شيء، الذي يفعل هو الله.

والله بغير غيره يفعل كل شيء.. يفعل ما يشاء على الوجه الذي يشاء في الوقت الذي يشاء بقدرته وحده ﷻ ولا يحتاج لأحدٍ من خلقه وهو الصمد.

---

١) سورة فاطر _ الآية ٢ .

٢) سورة الأنعام _ الآية ١٧ .

٣) سورة يونس _ الآية ١٠٧ .

٤) كتاب روائع العلامة محمد عمر البالمبوري بقلم المؤلف.

• كل شيء في خزائن الله: خزائن السماوات عند الله..خزائن الأرض عند الله..خزائن البحار عند الله..خزائن الجبال عند الله..خزائن الولد عند الله.. خزائن السعادة عند الله..خزائن الراحة عند الله.

- العسل ليس من النحل، العسل من خزائن الله.. والله تعالى قادر على أن يُعطينا العسل بالنحل وبدون النحل، ولكن النحل في إعطائه العسل محتاج إلى الله.

- اللبن ليس من البقر، اللبن من خزائن الله.. والله تعالى قادر على أن يُعطينا اللبن بالبقر وبدون البقر، ولكن البقر في إعطائه اللبن محتاج إلى الله.

- الثمر ليس من الشجر، الثمر من خزائن الله.. والله تعالى قادر على أن يُعطينا الثمر بالشجر وبدون الشجر، والشجر حتى يُعطينا الثمر محتاج إلى الله.

- الشفاء ليس من الدواء، الشفاء من خزائن الله،(وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) (١)، قال الله تعالى ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾(٢).

- الله خلق السماوات من العدم.. وخلق الأرض من العدم.. وخلق البحار من العدم.. وخلق الجبال من العدم.

ثالثا: من الدنيا إلى الآخرة:

قال تعالى:{ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} (١).

---

(١) سورة الشعراء – الآية ٨٠.

(٢) سورة الحجر – الآية ٢١.

وقال تعالى: { مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ} (٢) .

وقال تعالى: { مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا * كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا * انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا } (١).

وقال تعالى:{وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ }(٢).

وعَنْ الْمُسْتَوْرَدِ بْنِ شَدَّادٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: " وَاللهِ! مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ -أي: السَّبَّابَة- فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟" رَوَاهُ مُسْلِم. (٣).

---

(١) سورة الأعلى _ الآيتان ١٦ ، ١٧

(٢) سورة الشورى _ الآية ٢٠.

(١) سورة الإسراء – الآيات من ١٨ : ٢١.

(٢) سورة الزخرف: الآيات من ٣٣–٣٥.

(٣) صحيح مسلم» كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها» بَاب فَنَاءِ الدُّنْيَا وَبَيَانِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(٢٨٥٨).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): " لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ " رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَابْنُ مَاجَهْ . (١).

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ):" مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى "(١).

وعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: مَثَلُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ ضَرَّتَانِ، إِنْ أَرْضَى إِحْدَاهُمَا أَسْخَطَ الْأُخْرَى. (٢).

وعَنْ عَلِي بْن أَبِي طَالِبٍ، قَالَ :" إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَتَيْنِ طُولُ الأَمَلِ وَاتِّبَاعُ الْهَوَى ، فَأَمَّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ ، أَلا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ مُدْبِرَةً وَالآخِرَةُ مُقْبِلَةٌ وَلِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ وَلا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلا حِسَابَ وَغَدًا حِسَابٌ وَلا عَمَلَ "(٣) .

---

(١) مشكاة المصابيح» كتاب الآداب» كتاب الرقاق(٥١٧٧)..

(١) شعب الإيمان للبيهقي» الْحَادِي وَالسَّبْعُونَ مِنْ شُعَبِ الإِيمَانِ وَهُوَ ...رقم الحديث:(٩٦٤٨)، المستدرك على الصحيحين» كتاب الرقاق» مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ (٧٩٢٣).

(٢) الزهد لابن أبي الدنيا(٦٤).

(٣) الزهد لأحمد بن حنبل » زُهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ...رقم الحديث:(٣٧٧)، حلية الأولياء لأبي نعيم » عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ _ رقم الحديث:(٢٣١).

وعَنْ جَابِرٍ قَالَ: كَانَتِ الْأَنْصَارُ إِذَا جَرُّوا نَخْلَهُمْ قَسَّمَ الرَّجُلُ تَمْرَةً إِلَى قِسْمَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَقَلُّ مِنَ الْآخَرِ، ثُمَّ يَجْعَلُونَ السَّعَفَ مَعَ أَقَلِّهِمَا ، ثُمَّ يُخَيِّرُونَ الْمُسْلِمِينَ فَيَأْخُذُونَ أَكْثَرَهُمَا ، وَيَأْخُذُ الْأَنْصَارُ أَقَلَّهُمَا مِنْ أَجْلِ السَّعَفِ، حَتَّى فُتِحَتْ خَيْبَرُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- : " قَدْ وَفَّيْتُمْ لَنَا بِالَّذِي كَانَ عَلَيْكُمْ ، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَطِيبَ أَنْفُسُكُمْ بِنَصِيبِكُمْ مِنْ خَيْبَرَ ، وَتَطِيبَ لَكُمْ ثِمَارُكُمْ فَعَلْتُمْ ". قَالُوا : إِنَّهُ قَدْ كَانَ لَكَ عَلَيْنَا شُرُوطٌ ، وَلَنَا عَلَيْكَ شَرْطٌ بِأَنَّ الْجَنَّةَ لَنَا ، فَقَدْ فَعَلْنَا الَّذِي سَأَلْتَنَا بِأَنَّ لَنَا شَرْطَنَا، قَالَ: " فَذَاكُمْ لَكُمْ " . رَوَاهُ الْبَزَّارُ (١).

وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، عَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ ، قَالَ: " نَزَلَ بِهِ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ فَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ وَكَلَّمَ فِيهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَهُ الرَّجُلُ ، فَقَالَ: إِنِي اسْتَقْطَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَادِيًا مَا فِي الْعَرَبِ مِثْلُهُ ، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أُقْطِعَ لَكَ مِنْهُ قَطِيعًا يَكُونُ لَكَ ولِعَقِبَكِ مِنْ بَعْدِكَ ، قَالَ:لا حَاجَةَ لَنَا فِي قَطِيعَتِكَ نَزَلَتِ الْيَوْمَ سُورَةٌ أَذْهَلَتْنَا عَنِ الدُّنْيَا : اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (٢).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَال: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: لَا أَدْرِي مَا اسْتَثْنَى بَعْضَ نِسَائِهِ ، قَالَ: فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» كتاب المناقب» باب ما جاء في فضل الأنصار (١٦٥٢٦).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء _ باب ترجمة عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ (٦٠١) .

فَتَكَلَّمَ فَقَالَ: " إِنَّ لَنَا طَلِبَةً فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا، فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا "، فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْ وَالْمَدِينَةِ ، فَقَالَ : " لَا ، إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا "، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ "، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ"، قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟، قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟، قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إِلَّا رَجَاءً أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا ، قَالَ: " فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا "، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ (١).

وعَنْ مُعَاذٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى " لَمَّا أَنْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ، قَالَ : انْظُرُوا أَصْبَحْنَا ؟ فَأُتِيَ فَقِيلَ: لَمْ تُصْبِحْ ، قَالَ: انْظُرُوا أَصْبَحْنَا ، فَأُتِيَ فَقِيلَ: لَمْ تُصْبِحْ حَتَّى أُتِيَ فِي بَعْضِ ذَلِكَ، فَقِيلَ لَهُ: قَدْ أَصْبَحْتَ، قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ لَيْلَةٍ صَبَاحُهَا إِلَى النَّارِ، مَرْحَبًا بِالْمَوْتِ ، مَرْحَبًا زَائِرًا مُغَيَّبًا حَبِيبًا، جَاءَ عَلَى فَاقَةٍ ، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ

(١) صحيح مسلم » كِتَاب الْإِمَارَةِ » بَاب ثُبُوتِ الْجَنَّةِ لِلشَّهِيدِ _ رقم الحديث: ٣٥٢٧.

كُنْتُ أَخَافُكَ، فَأَنَا الْيَوْمَ أَرْجُوكَ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أُحِبُّ الدُّنْيَا وَطُولَ الْبَقَاءِ فِيهَا لِكَرْيِ الأَنْهَارِ وَلا لِغَرْسِ الشَّجَرِ، وَلَكِنْ لِظَمَأِ الْهَوَاجِرِ وَمُكَابَدَةِ السَّاعَاتِ وَمُزَاحَمَةِ الْعُلَمَاءِ بِالرُّكَبِ عِنْدَ حِلَقِ الذِّكْرِ " (١) .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى: (تَرْكُ الدُّنْيَا شَدِيْدٌ، وَفَوْتُ الجَنَّةِ أَشَدُّ، وَتَرْكُ الدُّنْيَا مَهْرُ الآخِرَةِ) (١).

انظر ما حدث لليهود في بني قريظة، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيِّ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- لِسَعْدٍ: " لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ اسْتَنْزَلُوا، فَحَبَسَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- فِي دَارِ ابْنَةِ الْحَارِثِ، امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِلَى سُوقِ الْمَدِينَةِ، الَّتِي هِيَ سُوقُهَا الْيَوْمَ ، فَخَنْدَقَ بِهَا خَنَادِقَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ ، فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فِي تِلْكَ الْخَنَادِقِ يَخْرُجُ بِهِمْ إِلَيْهِ أَرْسَالا، وَفِيهِمْ عَدُوُّ اللَّهِ، حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ رَأْسُ الْقَوْمِ، وَهُمْ سِتُّ مِائَةٍ أَوْ سَبْعُ مِائَةٍ، الْمُكَثِّرُ لَهُمْ يَقُولُ: كَانُوا مِنَ الثَّمَانِ مِائَةِ إِلَى التِّسْعِ مِائَةِ . وَقَدْ قَالُوا لِكَعْبِ بْنِ أَسَدٍ ، وَهُمْ يَذْهَبُ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-أَرْسَالا: يَا كَعْبُ، مَا تَرَى مَا يُصْنَعُ بِنَا؟ فَقَالَ كَعْبٌ: فِي كُلِّ مَوْطِنٍ لا تَعْقِلُونَ، أَلا تَرَوْنَ الدَّاعِي لا يَنْزِعُ، وَأَنَّهُ مَنْ ذَهَبَ بِهِ مِنْكُمْ لا يَرْجِعُ ،

---

(١) الزهد لأحمد بن حنبل » أَخْبَارُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ _ رقم الحديث: ٦٤٢، حلية الأولياء لأبي نعيم » مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ _ رقم الحديث: ٨٤٤ .

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي – المكتبة الشاملة على النت.

هُوَ وَاللهِّ الْقَتْلُ. فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الدَّأْبُ حَتَّى فَرَغَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهَّ -ﷺ- وَأُتِيَ بِحُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، عَدُوِّ اللهَّ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ لَهُ فُقَاحِيَّةٌ، قَدْ شَقَّقَهَا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، كَمَوْضِعِ الأَنْمُلَةِ أَنْمُلَةً أَنْمُلَةً ، لِئَلا يُسْلَبَهَا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِحَبْلٍ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهَّ -ﷺ- قَالَ : أَمَا وَاللهَّ مَا لُمْتُ نَفْسِي فِي عَدَاوَتِكَ، وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ اللهَّ يُخْذَلْ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ -: أَيُّهَا النَّاسُ -، إِنَّهُ لا بَأْسَ بِأَمْرِ اللهَّ وَقَدَرِهِ -، وَمَلْحَمَةٍ قَدْ كُتِبَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ -، ثُمَّ جَلَسَ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ - ، فَقَالَ جَبَلُ بْنُ جَوَّالٍ الثَّعْلَبِيُّ -: لَعَمْرُكَ مَا لامَ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ اللهُّ يُخْذَلِ لجَاهَدَ حَتَّى أَبْلَغَ النَّفْسَ عُذْرَهَا وَقَلْقَلَ يَبْغِي الْعِزَّ كُلُّ مُقَلْقَلِ (١).

لأنهم ما تفكروا في مآلهم وآخرتهم، فكانت نهايتهم سيئة في الدنيا وفي الآخرة كم تأتي عليهم المشاكل في القبر والحشر والميزان.

قال أحد الحكماء: (عندما تُولَدُ يا ابنَ آدمَ يُؤَذَّنُ في أُذُنِكَ مِن غيرِ صَلاة.. وعندما تموتُ يُصَلَّى عليكَ مِن غَيرِ أَذَانٍ.. وكأنَّ حَيَاتكَ في الدُّنيا ليست سِوَى الوقتِ الذي بين الأذانِ والصلاةِ.. فلا تَقْضِهَا بما لَا ينفعُ).

فعلينا أن ندعو أنفسنا ونذكر الناس بالآخرة.. بالغيب.. ماذا بعد الموت ؟.. ماذا بعد هذه الحياة ؟.. الله سبحانه وتعالى حينما عرض الدعوة علي موسي عليه الصلاة السلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّنِيَ أَنَا اللهُ لآ إِلَـهَ إِلآ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ

(١) تاريخ الطبري» غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ – رقم الحديث: ٦٦٠.

الصّلاَةَ لِذِكْرِيَ * إِنّ السّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىَ كُلّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىَ* فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾(١).

تهلك إذا نسيت هذا الصلاة ونسيت هذه الآخرة.

وسيدنا شعيب عليه السلام يقول لقومه :﴿ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾(١).. رجاء اليوم الأخر.. رجاء الآخرة.. رجاء موعود الله، أمر مهم قد لا يحقق العبودية، إلا بهذا اليقين على موعود الله سبحانه وتعالى وفى رجاء اليوم الأخر.

وفي ذلك ستة أمور نذكرها باختصار :

١- إن كل إنسان لا بد أن يترك هذه الحياة يوما ما، قال تعالى: ﴿إِنّكَ مَيّتٌ وَإِنّهُمْ مّيّتُونَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مّتّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾(٣).هذا هو اليقين الأول.

٢- إن كل إنسان سيخرج من هذه الدنيا ويترك كل ما جمعه من المادة، ولن يحمل معه إلي القبر أي شيء من أشياء المادة إطلاقا.

(١) سورة طه – الآيات من ١٤: ١٦ .

(١) سورة هود – الآيات من ٩٣ .

(٢) سورة الزمر – الآية٣٠.

(٣) سورة الأنبياء – الآية ٣٤.

٣- إن كل إنسان سيحمل معه جميع أعماله خيرها وشرها، حلوها ومرها. فالأعمال تحمل معك، وكل ما جمعته تتركه خلفك.

٤- لن يعود إنسان بعد الموت إلي الدنيا، الشهداء تمنوا أن يرجعوا إلي الدنيا، والنبي (ﷺ) تمني أن يرجع إلي الدنيا ! ولكن رغم هذا لم يعط أي إنسان هذه الأمنية، فلا رجوع إلي الدنيا أبدا.

٥- إن كل إنسان على حسب أعماله التي عملها في الدنيا، يكون مصيره من أول لحظة يخرج فيها من بيته إلي القبر: فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :" إِذَا وُضِعَتْ الْجِنَازَةُ فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ قَدِّمُونِي وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ لِأَهْلِهَا يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ وَلَوْ سَمِعَ الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ(١). هذا جزاء الأعمال علي حسب نوعيتها إن خيرا فخيرا وإن شرا فشر.

٦- لا موت بعد الموت.. حياة أبدية.. صورة الموت فناء ظاهري أدخل المقبرة.. أين صاحبها ؟ ! موجود ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ (٢) .

---

(١) صحيح البخاري» كتاب الجنائز» بَاب حَمْلِ الرِّجَالِ الْجِنَازَةَ دُونَ النِّسَاءِ (١٢٥١).

(٢) سورة ق – الآية ٤.

٧- اختفاء ظاهري .. ولكن هو موجود بكل كيانه في نعـيم أو في عـذاب، وبعد ذلك إما جنة أبدا وإما نارا أبـدا، فالإنسـان خلـق للأبـد، إي إنسـان يخرج من بطن أمه له حياة أبدية لا تنتهي، وهذه الحياة الأبدية إمـا في الجنـة أو في النار.

فهذه الأمور الستة يجب أن يكون يقيننا عليها بنسبة الموت والآخرة وما بعد الموت.

ويتغير اليقين بالنفي والإثبات: فلو ننفي الشيء يأتي يقينه.. وذلك بدعوة لا إله إلا الله.

✸ولما نقوم بالنفي والإثبات نستفيد أربع فوائد:

١) يخرج من القلب يقين هذا الشيء.

٢) لا أعبده، لأن الذين اعتقدوا أن النفع من ذات الأشياء فعبدوها من دون الله، ولذا قال الله تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَر لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }(١).

٣) الله يحفظني من هذا الشيء.

٤) الله يسخره لنا: والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها:

الأول: إبراهيم (عليه السلام): لما كبر الله وصغر النار صغر الله له النيران وسخرها له ولم تضره.

---

(١) سورة فصلت _ الآية ٣٧.

الثاني: موسى (عليه السلام): لما كبر الله وعظم الله، وصغر البحر، فسخر الله له البحر ، وأنجاه ولم يضره، فقد توجه إلى الله عز وجل ووجه بني إسرائيل إلى الله تبارك وتعالى وقال كلمة ردع ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (١) فنزع من قلوبهم التأثر بفرعون وجنوده ، وجاء الأمر من الله ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ (١) ثم جاء الأمر من الله عز وجل لسيدنا موسى عليه السلام ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴾ (٢) فقوة إيمان سيدنا موسى عليه السلام وقومه الله جعلها سبب لتدمير قوة فرعون وجنوده ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ (٣)(٤).

الثالث: في قصة الغلام والساحر: ...... ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَرَجَفَ بِهِمْ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللهُ فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ

---

(١) سورة الشعراء – الآية ٦٢ .

١) سورة الشعراء – الآية ٦٣ .

٢) سورة الدخان – الآية ٢٤ .

(٣) سورة الذريات – الآية ٤٠ .

(٤) روائع العلامة محمد عمر البالمبوري بقلم المؤلف .

دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَانْكَفَأَتْ بِهِمْ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللهُ فَقَالَ لِلْمَلِكِ إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ ....(١). فلما الغلام كبر الله وعظم الله، وصغر الأشياء مثل (الجبل، والبحر) فالله سخر له الجبل وسخر له البحر، ولم يضراه، وكانا سببا لنجاته، وأهلك أعداءه.

الرابع: عَنْ وَهْبِ بْنِ أَبَانَ الْقُرَشِيِّ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ خَرَجَ فِي سَفَرٍ لَهُ ، فَبَيْنَا هُوَ يَسِيرُ إِذَا قَوْمٌ وُقُوفٌ، فَقَالَ: مَا بَالُ هَؤُلاءِ؟ قَالُوا: أَسَدٌ عَلَى الطَّرِيقِ قَدْ أَخَافَهُمْ. فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَيْهِ حَتَّى أَخَذَ بِأُذُنِهِ فَعَرَكَهَا ، ثُمَّ قَفَدَ قَفَاهُ وَنَحَّاهُ عَنِ الطَّرِيقِ، ثُمَّ قَالَ: مَا كَذَبَ عَلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " إِنَّمَا يُسَلَّطُ عَلَى ابْنِ آدَمَ مَنْ خَافَهُ ابْنُ آدَمَ ، وَلَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ لَمْ يَخَفْ إِلا اللَّهَ لَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا ابْنُ آدَمَ وَكَّلَ بَنِي آدَمَ لِمَنْ رَجَا ابْنَ آدَمَ ، وَلَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ لَمْ يَرْجُ إِلا اللَّهَ لَمْ يَكِلْهُ إِلَى غَيْرِهِ(١).

الخامس: عَنْ سَفِينَةَ قَالَ: كُنْتُ فِي الْبَحْرِ، فَانْكَسَرَتْ سَفِينَتُنَا فَلَمْ نَعْرِفِ الطَّرِيقَ، فَإِذَا أَنَا بِالْأَسَدِ قَدْ عَرَضَ لَنَا، فَتَأَخَّرَ أَصْحَابِي فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقُلْتُ: أَنَا سَفِينَةُ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- وَقَدْ أَضْلَلْنَا الطَّرِيقَ، فَمَشَى بَيْنَ يَدَيَّ حَتَّى أَوْقَفَنَا عَلَى الطَّرِيقِ، ثُمَّ تَنَحَّى وَدَفَعَنِي كَأَنَّهُ يُرِينِي الطَّرِيقَ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُوَدِّعُنَا.رَوَاهُ

(١) صحيح مسلم» كتاب الزهد والرقائق» بَاب قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَالْغُلَامِ (٣٠٠٥).

(١) كتاب الديباج للختلي.

الْبَزَّارُ، وَالطَّبَرَانِيُّ بِنَحْوِهِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: فَانْكَسَرَتْ سَفِينَتِي الَّتِي كُنْتُ فِيهَا، فَرَكِبْتُ لَوْحًا مِنْ أَلْوَاحِهَا فَطَرَحَنِي اللَّوْحُ فِي أَجَمَةٍ فِيهَا الْأَسَدُ، فَأَقْبَلَ إِلَيَّ يُرِيدُنِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الْحَارِثِ، أَنَا سَفِينَةُ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ - ﷺ- فَطَأْطَأَ رَأْسَهُ وَأَقْبَلَ إِلَيَّ فَدَفَعَنِي بِمِنْكَبِهِ. وَالْبَاقِي بِنَحْوِهِ(١).

السادس: ومن جميل ما ورد في هذا، ما روي أنه لما فتح عبدالله بن علي العباس دمشق، قتل في ساعة واحدة ستة وثلاثين ألفاً من المسلمين، وأدخل بغاله وخيوله في المسجد الأموي الجامع الكبير، ثم جلس للناس وقال للوزراء: هل يعارضني أحد؟ قالوا: لا. قال: هل ترون أحداً سوف يعترض عليّ؟ قالوا: إن كان فـالأوزاعي، قال: فأتوني به، فذهب الجنود للأوزاعي، قالوا: يُريدك عبدالله بن علي، قال: "حسبنا الله ونعم الوكيل"، انتظروني قليلاً، فذهب فاغتسل، ولبس أكفانه تحت الثياب؛ لأنه يعرف أن المسألة موت أحمر، ثم قال لنفسه: الآن آن لك يا أوزاعي أن تقول كلمة الحق، لا تخشى في الله لومة لائم، قال الأوزاعي: فدخلت فإذا أساطين من الجنود، قد سلُّوا السيوف، قال: فدخلت من تحتها؛ حتى بلغت إليه، وقد جلس على سرير، وبيده خيزران، وقد انعقد جبينه عقدة من الغضب، قال:

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»كتاب المناقب» باب ما جاء في سفينة رضي الله عنه (١٥٩٧٢) .

فلما رأيته، والله الذي لا إله إلا هو؛ كأنه أمامي ذباب(١)، قال: فما تذكرت أحداً لا أهلاً، ولا مالاً، ولا زوجة، وإنما تذكرت عرش الرحمن إذا برز للناس يوم الحساب، قال: فرفع بصره وبه غضب عليّ، قال: يا أوزاعي، ما تقول في الدماء التي أرقناها؟ قال الأوزاعي: حدّثنا فلان، قال: حدثنا ابن مسعود، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنِّى رَسُولُ اللهِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ"، فإن كان من قتلتهم من هؤلاء فقد أصبت، وإن لم يكونوا منهم فدماؤهم في عنقك. قال: فنكتَ بالخيزران ورفعت عمامتي أنتظر السيف، ورأيت الوزراء يستجمعون ثيابهم ويرفعونها عن الدم. قال: وما رأيك في الأموال التي أخذناها؟ قال الأوزاعي: إن كانت حلالاً فحساب، وإن كانت حرامًا فعقاب!! قال: خذ هذه البدرة - كيس مملوء من الذهب – قال الأوزاعي: لا أريد المال، قال: فغمزني أحد الوزراء، يعني خذها، لأنه يريد أدنى علة ليقتل، قال: فأخذ الكيس ووزَّعه على الجنود وهو يخرج، حتى بقي الكيس فارغًا، فرمى به وخرج، فلما خرج قال: "حسبنا الله ونعم الوكيل، قلناها يوم دخلنا وقلناها يوم خرجنا".

---

(١) لما صغر في عينيه لم يسلط عليه.

وطريقة النفي والإثبات:

١) ننفي فاعلية الكون.

٢) ننفي يقين الأمم السابقة.

٣) ننفي يقين النفس(أي فاعليتها).

أولا: ننفي((فاعلية الكون)):

قال تعالى: { أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ* إِنَّا لَمُغْرَمُونَ* بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ* أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ* أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ* لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ* أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ* نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ } (١).

كل غير الله بغير الله لا يفعل شيئاً ،مثلاً :

_ **الشمس بدون الله**: لا تستطيع أن تعطى الحرارة والضوء، قال تعالى: { وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } (٢).

---

(١) سورة الواقعة- الآيات من ٦٣ : ٧٣.

(٢) سورة يس- الآيات من ٣٧ : ٤٠.

-**والعين بدون الله**: لا تستطيع أن تبصـــر.. والأذن بـدون الله : لا تسـتطيع أن تسمع، قال تعالى: { قُـلْ هُـوَ الَّـذِي أَنشَـأَكُمْ وَجَعَـلَ لَكُـمُ السَّـمْعَ وَالْأَبْصَـارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ } (١).

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَـنْ إِلَـهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ } (١).

-**واللسان بدون الله**: لا يستطيع أن يتكلم: { الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْـوَاهِهِمْ } (٢). فالذي يختم عليه في القيامة قادر أن يختم عليه في الدنيا، فكثيرا ما نرى أن كثيراً من الناس لهم ألسنة ولا يستطيعون الكلام.

-**والأنف بدون الله**: لا يستطيع أن يشم : فكثيرا من الناس قـد حرمـوا مـن حاسة الشم.

- **والرجل بدون الله** : لا تستطيع أن تمشى: فَعَنْ قَتَادَةَ ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ يُحْشَرُ الكَافِرُ عَلَى وَجْهِـهِ يَـوْمَ القِيَامَـةِ ؟ قَالَ : أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِـيَهُ عَـلَى وَجْهِـهِ يَوْمَ القِيَامَةِ قَالَ قَتَادَةُ : بَلَى وَعِزَّةِ رَبِّنَا(٣).وَقَال تعالى:(وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَـلَى

---

(١) سورة الملك- الآيات ٢٣.

(١) سورة الأنعام- الآيات ٤٦.

(٢) سورة يس- الآية ٦٥.

(٣) صحيح البخاري- كتاب تفسير القرآن- باب قوله: {الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا} [الفرقان: ٣٤] حديث رقم ٤٥٠١.

مَكَانَتِهِمْ) يَقُولُ – تَعَالَى ذِكْرُهُ – : وَلَوْ نَشَاءُ لَأَقْعَدْنَا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَرْجُلِهِمْ فِي مَنَازِلِهِمْ (فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ) يَقُولُ : فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَمْضُوا أَمَامَهُمْ ، وَلَا أَنْ يَرْجِعُوا وَرَاءَهُمْ(١) .

-**واليد بدون الله**: لا تستطيع أن تبطش: فَإِنَّ إبراهيم((قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ فَقَالَ لَهَا إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرَكِ فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَآهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأُتِيَ بِهَا فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام إِلَى الصَّلَاةِ فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً فَقَالَ لَهَا ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلَا أَضُرُّكِ فَفَعَلَتْ فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنْ الْقَبْضَةِ الْأُولَى فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ فَفَعَلَتْ فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنْ الْقَبْضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فَقَالَ ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي فَلَكِ اللَّهَ أَنْ لَا أَضُرَّكِ فَفَعَلَتْ وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا فَقَالَ لَهُ إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي وَأَعْطِهَا هَاجَرَ قَالَ فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام انْصَرَفَ فَقَالَ لَهَا مَهْيَمْ قَالَتْ خَيْرًا كَفَّ اللَّهُ يَدَ الْفَاجِرِ وَأَخْدَمَ خَادِمًا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَتِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ(١).

---

(١) تفسير الطبري.

(١) صحيح مسلم» كتاب الفضائل» باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم(٢٣٧١).

- **والطعام بدون الله**: لا يستطيع أن يعطى الشبع: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَوَارَيْتُ خَلْفَ بَابٍ قَالَ فَجَاءَ فَحَطَأَنِي حَطْأَةً وَقَالَ اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ قَالَ فَجِئْتُ فَقُلْتُ هُوَ يَأْكُلُ قَالَ ثُمَّ قَالَ لِيَ اذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ قَالَ فَجِئْتُ فَقُلْتُ هُوَ يَأْكُلُ فَقَالَ لَا أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَهُ قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى قُلْتُ لِأُمَيَّةَ مَا حَطَأَنِي قَالَ قَفَدَنِي قَفْدَةً (١).

قال النووي: وَأَمَّا دُعَاؤُهُ عَلَى مُعَاوِيَةَ أَنْ لَا يَشْبَعَ حِينَ تَأَخَّرَ فَفِيهِ الْجَوَابَانِ السَّابِقَانِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ جَرَى عَلَى اللِّسَانِ بِلَا قَصْدٍ، وَالثَّانِي أَنَّهُ عُقُوبَةٌ لَهُ لِتَأَخُّرِهِ. وَقَدْ فَهِمَ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِقًّا لِلدُّعَاءِ عَلَيْهِ، فَلِهَذَا أَدْخَلَهُ فِي هَذَا الْبَابِ، وَجَعَلَهُ غَيْرُهُ مِنْ مَنَاقِبِ مُعَاوِيَةَ لِأَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ يَصِيرُ دُعَاءً لَهُ . (٢).

_ **والماء بدون الله**: لا يستطيع أن يعطى الري: (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم

---

(١) صحيح مسلم» كتاب البر والصلة والآداب» باب من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلا لذلك كان له زكاة وأجرا ورحمة(٢٦٠٤).

(٢) صحيح مسلم شرح النووي» كتاب البر والصلة والآداب» باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلا لذلك كان له زكاة وأجرا ورحمة (٢٦٠٤).

مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (١). فالذين لم يشربوا يُرْوَى أنهم كانوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى النَّهْرِ وَقَدْ أُلْقِيَ عَلَيْهِمُ الْعَطَشُ فَشَرِبَ مِنْهُ الْكُلُّ إِلَّا هَذَا الْعَدَدَ الْقَلِيلَ فَمَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً كَمَا أَمَرَ اللَّهُ قَوِيَ قَلْبُهُ وَصَحَّ إِيمَانُهُ وَعَبَرَ النَّهْرَ سَالِمًا وَكَفَتْهُ تِلْكَ الْغُرْفَةُ الْوَاحِدَةُ لِشُرْبِهِ وَحَمْلِهِ وَدَوَابِّهُ وَالَّذِينَ شَرِبُوا وَخَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ اسْوَدَّتْ شِفَاهُهُمْ وَغَلَبَهُمُ الْعَطَشُ فَلَمْ يَرْوُوا وَبَقُوا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ وَجَبُنُوا عَنْ لِقَاءِ الْعَدُوِّ فَلَمْ يُجَاوِزُوا وَلَمْ يَشْهَدُوا الْفَتْحَ (١).

فالذين شربوا ازدادوا عطشا أما الذين لم يشربوا هم الذين نشطوا لقتال الكفار ونصرهم الله عز وجل، كما نصر أهل بدر.

- **والسحاب بدون الله**: لا يُعطي المطر: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (٢).

وقال تعالى: (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ) (٣).

---

(١) سورة البقرة – الآية ٢٤٩.

(١) تفسير البغوي.

(٢) سورة الأعراف – الآية ٥٧.

(٣) سورة فاطر – الآية ٩.

- **والشجر بدون الله:** لا يعطي الثمر (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (١).

- **والنحل بدون الله:** لا يُعطي العسل :(وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (٢).

- **والجاموس والبقر بدون الله:** لا يُعطي اللبن: (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ) (٣).

- **والأرض بدون الله:** لا تُعطي الزرع، قال تعالى: { أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ} (٤).فنزرع الزرع: ونتوكل على الله في إنمائه وحفظه وحصول ثمرته.

- **والدواء بدون الله:** لا يعطي الشفاء :(وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) (٥).. فنتناول الدواء ونتوكل على الله تعالى الذي يعطينا الشفاء.

---

(١) سورة الأنعام – الآية ٩٩.
(٢) سورة النحل – الآيتان ٦٨ ، ٦٩.
(٣) سورة النحل – الآية ٦٦.
(٤) سورة الواقعة– الآيات من ٦٣ : ٦٥.
(٥) سورة الشعراء – الآية ٨٠.

-**والنوم بدون الله**: لا يُعطي الراحة، قال تعالى:(وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ) (١).

وقال تعالى:(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) (٢).

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَقًا أَصَابَنِي، فَقَالَ: " قُلِ : اللَّهُمَّ غَارَتِ النُّجُومُ ، وَهَدَأَتِ الْعُيُونُ ، وَأَنْتَ حَيٌّ قَيُّومٌ ، لا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ، أَهْدِئْ لَيْلِي ، وَأَنِمْ عَيْنِي " ، فَقُلْتُهَا، فَأَذْهَبَ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ عَنِّي مَا كُنْتُ أَجِدُ (٣).فالراحة ليست من النوم إنما النوم آنية فإذا شاء جعل فيها الراحة وإذا شاء جعل فيها الأرق والتعب.. فننام ونتوكل على الله الذي يعطينا الراحة.

-**والنار بدون الله**: لا تحرق، ولا نستفيد منها، فنار إبراهيم تلقت الأمر من الله أن لا تحرق إبراهيم:(قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) (٤).

_**والسكين بدون الله**: لا تذبح، فلما أراد إبراهيم أن يذبح ولده إسماعيل بوحي من الله، فلم تذبح السكين، لأن السكين لا تذبح إلا بإرادة الله، وإذا أراد أن تذبح ذبحت.

---

(١) سورة الروم – الآية ٢٣.

(٢) سورة يونس – الآية ٦٧.

(٣)عمل اليوم والليلة لابن السني » بَابُ : مَا يَقُولُ إِذَا أَصَابَهُ الأَرَقُ _ رقم الحديث: ٧٤٣.

(٤) سورة الأنبياء – الآية ٦٩.

-**والبحر بدون الله**: لا يغرق:(هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (١).

-**والأشياء بدون الله**: لا تقضي الحوائج.. إنما قضاء الحوائج بيد الله.

✸ يقول الشيخ محمد عمر البالمبوري(رحمه الله): الله أظهر قدرته مع الأسباب، فلا نمنعك من الزراعة، ولكن لا تتيقن عليها، وتيقن على الخالق.

✸ لو ننفي فاعلية الكون يخرج يقين الكون من القلب، ونترك عبادة الكون ونعبد الله: قال الله تعالى:{ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }(٢).

✸ **وكذلك الله يحفظنا من شر الكون: ففي الحديث:**" مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ" (١).

---

(١) سورة يونس – الآيتان ٢٢ ، ٢٣.

(٢) سورة فصلت _ الآية ٣٧.

(١) رواه أبو داود (٥٠٨٨)، ورواه الترمذي في سننه (رقم/٣٣٨٨) وقال الترمذي : حسن صحيح غريب. وصححه ابن القيم في " زاد المعاد " (٢/٣٣٨)، وصححه الألباني في " صحيح أبي داود ".

ثانيا: ننفي يقين ((الأمم السابقة)):

- **يقين قوم نوح على الكثرة..** اغتروا بكثرتهم واعتمدوا عليها، فاستكبروا وسخروا :{ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ}(١)، فأهلكهم الله تعالى.

- **يقين قوم شعيب على التجارة..** اغتروا بالأموال والتجارة، فطففوا الكيل والميزان :{ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ * قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} (١)، فأهلكهم الله تعالى.

---

(١) سورة هود _ الآية ٢٧.

(١) سورة هود _ الآيات من ٨٤ : ٨٨.

- يقين قوم سبأ على الزراعة.. تعلقوا بالزراعة واعتمدوا عليها من دون الله تعالى،:{ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ }(١)، فدمرها الله تعالى وأهلكهم.

- يقين قوم عاد على القوة.. فاغتروا بقوتهم، فكفروا وكذبوا، وقال لهم هود (عليه السلام) محذرا:{ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ }(١)، وبين الله كيف كانت قوتهم التي اعتمدوا عليها، والتي نسوا أنها من الله تعالى:{ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً

---

(١) سورة هود _ الآيات من ١٥ : ١٩.

(١) سورة الشعراء _ الآيات من ١٢٨ ، ١٣٥.

وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ }(١).

- **يقين قوم ثمود على الصناعة..** خدعوا بالصناعة، ورغد العيش، فحذرهم نبيهم صالح، فقال لهم:{ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ }(٢).

- يقين قوم عيسى على الطب.

- يقين فرعون على الملك.. خدع بملكه، فطغى واستكبر وتجبر وأفسد في الأرض:{ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ * فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ }(١) فأهلكه الله تعالى.

- يقين قارون على المال :قال تعالى{ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ

---

(١) سورة فصلت _ الآيتان من ١٥ ، ١٦.

(٢) سورة الشعراء _ الآيتان من ١٤٦ : ١٥٠.

(١) سورة الزخرف _ الآيات من ٥١ : ٥٦.

لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ }(١) فأهلكه الله تعالى.

- وبسبب هذا اليقين الفاسد عند الأمم السابقة، الله تعالى أهلكهم ودمرهم، وأنجى رسله والذين آمنوا معهم، كما قال الله تعالى: { فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } (١).

يقول الشيخ الأنصاري: جميع الأنبياء (عليهم السلام) بعثوا بدعوة (لا إله إلا الله) ما بعثوا لشيء آخر بها يصلح يقين الأمم، وبها صلح أعمال الأمم.

---

(١) سورة القصص _ الآيات من ٧٦ :٨١.

(١) سورة العنكبوت- الآية ٤٠.

ثالثا: ننفي يقين النفس:

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ):"إِنَّ اللهَ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ (١).

وفي رواية: عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ "، وَتَلا بَعْضُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ : (وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) (٢)، فَأَخْبَرَ أَنَّ الصِّنَاعَاتِ وَأَهْلَهَا مَخْلُوقَةٌ (٣).

أنفي [أنا ، لي ، عندي]

أنا : قالها إبليس: { قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } (١). فأهلكته.

لي: قالها فرعون: قال الله تعالى: { وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ } (٢). فأهلكته

---

(١) المستدرك على الصحيحين» كتاب الإيمان» إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ (٩٣).

(٢) سورة الصافات آية ٩٦.

(٣) قال الألباني في " السلسلة الصحيحة " ٤ / ١٨١ :أخرجه البخاري في " خلق أفعال العباد " (ص ٧٣) وابن أبي عاصم في " السنة "(٣٥٧ ، ٣٥٨) وابن منده في " التوحيد " (ق ٣٩ / ٢) وابن عدي (٢٦٣ / ٢)والحاكم (١ / ٣١) والبيهقي في " الأسماء و الصفات " (ص ٢٦ ، ٣٨٨) و كذا المحاملي في " الأمالي " (ج ٦ رقم ١٣) و الديلمي (١ / ٢ / ٢٢٨) من طرق عنأبي مالك الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة مرفوعا به . وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وهو كما قالا .

(١) سورة الأعراف- الآية ١٢.

(٢) سورة الزخرف- الآية ٥١.

عندي: قالها قارون: قال الله تعالى: {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي } (١).

قال الشيخ أمين [مسئول الدعوة بكراتشي]: ننفي فاعلية أنفسنا، وما عندنا [قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] (٢).

أنا لست شيء وليس لي شيء ولا أفعل شيء، ولا الذي عندي يفعل شيء .. الفعال هو الله.

فنخرج من هوى النفس[أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ] (١).

قَالَ بَعْضهمْ : مَعْنَى ذَلِكَ: أَفَرَأَيْت مَنِ اتَّخَذَ دِينه بِهَوَاهُ، فَلَا يَهْوَى شَيْئًا إِلَّا رَكِبَهُ لَا يَخَاف اللَّهَ؛ لِأَنَّهُ لَا يُؤْمِن بِاللَّهِ، وَلَا يُحَرِّم مَا حَرَّمَ، وَلَا يُحَلِّل مَا حَلَّلَ، إِنَّمَا دِينه مَا هَوَيْته نَفْسه يَعْمَل بِهِ(٢)..لذلك قالوا: آفة الرأي الهوى(٣).

---

(١) سورة القصص- الآية ٧٨.

(٢) سورة الأعراف- الآية ١٨٨.

(١) سورة الجاثية- الآية ٢٣ .

(٢) تفسير ابن جرير الطبري _ سورة الجاثية _ الآية ٢٣ .

(٣) خواطر الشيخ الشعراوي _ سورة الجاثية _ الآية ٢٣ .

أي جعل هواه معبود ولو لم يسجد له، ولكن يطيعه لأنه يرضي نفسه ولم يرضي ربه، ولكن يخالف أمر الله من أجل هواه، كما جاء في الحديث: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ – ﷺ– قَالَ :« تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِىَ رَضِىَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ » (١).

وقوله:" تَعِسَ " أي سقط وعثر وانكب لوجهه(١).

وقيل: أي انقلب على رأسه، وهو دعاء عليه بالخيبة؛ لأن من انتكس في أمره فقد خاب وخسر(٢).

وقوله:" وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ " أي إذا دخلت فيه الشوكة لا أخرجها من موضعها وبه سمّي المنقاش الذي ينقش به(٣).

---

(١) صحيح البخاري _ باب ما يتقى من فتنة المال وقول الله تعالى إنما أموالكم وأولادكم فتنة (٦٠٧١).

(١)انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي ص ٥٣٠، ٥٣٢، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب التاء مع العين مادة: " تعس " ١/ ١٩٠.

(٢)انظر: المرجع السابق، باب النون مع الكاف، مادة: " نكس " ٥/ ١١٥..

(٣) المرجع السابق، باب النون مع القاف، مادة " نقش " ٥/ ١٠٦.

وقال الحافظ ابن حجر (رحمه الله) : قَوْله (عَبْد الدِّينَار) أَيْ طَالِبه الْحَرِيص عَلَى جَمْعه ، الْقَائِم عَلَى حِفْظه ، فَكَأَنَّهُ لِذَلِكَ خَادِمه وَعَبْده .

قَالَ الطِّيبِيُّ: قِيلَ خُصَّ (الْعَبْد) بِالذِّكْرِ، لِيُؤْذَن بِانْغِمَاسِهِ فِي مَحَبَّة الدُّنْيَا وَشَهَوَاتهَا، كَالْأَسِيرِ الَّذِي لَا يَجِد خَلَاصًا، وَلَمْ يَقُلْ مَالِك الدِّينَار، وَلَا جَامِع الدِّينَار؛ لِأَنَّ الْمَذْمُوم مِنْ الْمِلْك وَالْجَمْع: الزِّيَادَةُ عَلَى قَدْر الْحَاجَة .

وَقَوْله (إِنْ أُعْطِيَ إِلَخْ) يُؤْذِن بِشِدَّةِ الْحِرْص عَلَى ذَلِكَ .

وَقَالَ غَيْره: جَعَلَهُ عَبْدًا لَهُمَا لِشَغَفِهِ وَحِرْصه؛ فَمَنْ كَانَ عَبْدًا لِهَوَاهُ : لَمْ يَصْدُق فِي حَقّه (إِيَّاكَ نَعْبُد) فَلَا يَكُون مَنْ اِتَّصَفَ بِذَلِكَ صِدِّيقًا (١).

فعلى العبد المؤمن أن يقوم بتطهير قلبه مما سوى الله، كما تطهر الكعبة المشرفة ، قال تعالى: (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) (١).

قال ابن القيم (رحمه الله): إِطْلَاق الْبَصَر ينقش قي الْقلب صُورَة المنظور، وَالْقلب كعبة، والمعبود لَا يرضى بمزاحمة الْأَصْنَام (٢).

(١) فتح الباري" (٢٤٥/١١).
(١) سورة الحج _ الآية ٢٦.
(٢)الفوائد لابن القيم صـ ٦٧ ، والمدهش لابت الجوزي صـ ٣٦٣.

الختام

لا بد أن نفهم أننا مع نفي جميع ما سوى الله، ليس معناه لا نستعمل الأشياء، والدليل: أن:(لا إله إلا الله) **لا تقبل إلا بطريق** (رسول الله) والرسول (ﷺ) أكمل الخلق، وأكملهم يقينا على الله عند خروجه من بيته للهجرة: رمى التراب في وجوه المشركين وهو يقرأ قوله تعالى(وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) (١) وخرج من بينهم ودخل في الغار - والاختباء في الغار من أسباب الحفاظة - ومع أخذه بالسبب ليس يقينه على السبب.. فعَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ : فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-يَنْتَظِرُ أَمْرَ اللَّهِ، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ فَمَكَرَتْ بِهِ، وَأَرَادُوا بِهِ مَا أَرَادُوا ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَمَرَهُ أَلَّا يَبِيتَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ يَبِيتُ فِيهِ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ - عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَبِيتَ عَلَى فِرَاشِهِ وَأَنْ يَتَسَجَّى بِبُرْدٍ لَهُ أَخْضَرَ ، فَفَعَلَ . ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- عَلَى الْقَوْمِ وَهُمْ عَلَى بَابِهِ، وَخَرَجَ مَعَهُ بِحَفْنَةٍ مِنْ تُرَابٍ، فَجَعَلَ يَذُرُّهَا عَلَى رُءُوسِهِمْ، وَأَخَذَ اللَّهُ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ - ﷺ- وَهُوَ يَقْرَأُ :(يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِلَى قَوْلِهِ : فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) (١)(٢).

---

(١) سورة يس- الآية ٩.

(١) سورة يس- الآيات من ١: ٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم» تفسير سورة الأنفال» تفسير قوله تعالى (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠).

ولما وقف المشركون على الغار ،فقال أبو بكر: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ):" يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا ؟".

فكان اعتماده وتوكله على الله.

وَقَدْ ظَنَّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ التَّوَكُّلَ يُنَافِي الِاكْتِسَابَ وَتَعَاطِيَ الْأَسْبَابِ، وَأَنَّ الْأُمُورَ إِذَا كَانَتْ مُقَدَّرَةً فَلَا حَاجَةَ إِلَى الْأَسْبَابِ! وَهَذَا فَاسِدٌ، فَإِنَّ الِاكْتِسَابَ مِنْهُ فَرْضٌ، وَمِنْهُ مُسْتَحَبٌّ، وَمِنْهُ مُبَاحٌ، وَمِنْهُ مَكْرُوهٌ، وَمِنْهُ حَرَامٌ، كَمَا قَدْ عُرِفَ فِي مَوْضِعِهِ.

وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَفْضَلَ الْمُتَوَكِّلِينَ، يَلْبَسُ لَأْمَةَ الْحَرْبِ، وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لِلِاكْتِسَابِ، حَتَّى قَالَ الْكَافِرُونَ: { مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ }(١)؛ وَلِهَذَا تَجِدُ كَثِيرًا مِمَّنْ يَرَى الِاكْتِسَابَ يُنَافِي التَّوَكُّلَ يُرْزَقُونَ عَلَى يَدِ مَنْ يُعْطِيهِمْ: إِمَّا صَدَقَةً، وَإِمَّا هَدِيَّةً، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ مَكَّاسٍ، أَوْ وَالِي شُرْطَةٍ (٢).

وكان النبي (ﷺ) يتداوى ، ويأمر بالتداوي، فعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ قَالَتْ الْأَعْرَابُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَدَاوَى، قَالَ:" نَعَمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ! تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً أَوْ قَالَ دَوَاءً إِلَّا دَاءً وَاحِدًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُوَ قَالَ الْهَرَمُ "(٣).

---

(١) سورة الفرقان- الآية ٧.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية- علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي .

(٣) سنن الترمذي» كتاب الطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم» بَاب مَا جَاءَ فِي الدَّوَاءِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ (٢٠٣٨).

وَحَاصِلُهُ أَنَّ رِعَايَةَ الْأَسْبَابِ بِالتَّدَاوِي لَا تُنَافِي التَّوَكُّلَ، كَمَا لَا يُنَافِيهِ دَفْعُ الْجُوعِ بِالْأَكْلِ وَقَمْعُ الْعَطَشِ بِالشُّرْبِ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ الْمُحَاسَبِيُّ: يَتَدَاوَى الْمُتَوَكِّلُ اقْتِدَاءً بِسَيِّدِ الْمُتَوَكِّلِينَ(١).

وأمر بإطفاء السراج .. وإغلاق الأبواب .. وأمر بنفض الفراش والتسمية عند النوم .. وأخذ الزاد في السفر .. وأخذ من يدله على الطريق في الهجرة .. وكان يتقي الحر والبرد .. ولم ينقص ذلك من توكله.

فاستعمال الأسباب ليس خلاف اليقين، بل استعمال الأسباب مع اعتماد القلب على الله من كمال اليقين.

يقول الشيخ سعيد أحمد خان (*رحمه الله*): التوكل مع الأسباب توكل أعلى وأفضل، فعن الْمُغِيرَةُ بْنُ أَبِي قُرَّةَ السَّدُوسِيُّ قَال سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِّ! أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: " اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ "(١) (٢).

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» كتاب الطب والرقى.

(١) قَوْلُهُ: (أَعْقِلُهَا) بِصِيغَةِ الْمُتَكَلِّمِ وَحَرْفُ الِاسْتِفْهَامِ مَحْذُوفٌ قَالَ فِي الْقَامُوسِ: عَقَلَ الْبَعِيرَ شَدَّ وَظِيفَهُ إِلَى ذِرَاعِهِ كَعَقَلَهُ وَاعْتَقَلَهُ انْتَهَى (وَأَتَوَكَّلُ) أَيْ عَلَى اللَّهِ بَعْدَ الْعَقْلِ (أَوْ أُطْلِقُهَا) أَيْ أُرْسِلُهَا (وَأَتَوَكَّلُ) أَيْ عَلَى اللَّهِ بَعْدَ الْإِرْسَالِ (قَالَ اعْقِلْهَا) قَالَ الْمُنَاوِيُّ : أَيْ شُدَّ رُكْبَةَ نَاقَتِكَ مَعَ ذِرَاعَيْهَا بِحَبْلٍ (وَتَوَكَّلْ) أَيِ اعْتَمِدْ عَلَى اللَّهِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ عَقْلَهَا لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ . (تحفة الأحوذي).

٢) سنن الترمذي» كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم» باب منه(٢٥١٧)، التوكل على الله لابن أبي الدنيا» أعقلها وأتوكل، أم أطلقها وأتوكل؟ قال: أعقلها وتوكل- رقم الحديث: ١١.

لأن الله يختبر بعد ربطها هل الطمأنينة كاملة بالله، أو بالله والحبل؟.

ويقول الشيخ محمد عمر البالمبوري (*رحمه الله*): نشتغل في الأسباب الظاهرية، ولكن لا نتكل عليها ونتوكل على الله تعالى.

فالاشتغال في الأسباب الظاهرية ليس ممنوع، ولكن الاتكال على الأسباب الظاهرية ممنوع ، فنتجرد عن الأسباب والوسائل بحسب الاتكال، لا بحسب الاشتغال، نشتغل في مشاغلنا الكسبية والبيتية ، ونشتغل في الأسباب الظاهرية، فالله عز وجل ما منعنا أن نشتغل في الأسباب الظاهرية.

قال الله ﷻ لنوح عليه السلام: ﴿ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾(١)، وقال لداود عليه السلام :﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُون ﴾ (٢)، وقال تعالى:﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾(٣)، وقال تعالى:﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ (٤)، وقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا ﴾(٥).

والرسول ﷺ في غزوة أحد لبس درعين من حديد . . ولبس المغفر على رأسه يوم الفتح، وأكل الطعام، وشرب الماء والحليب .. وغير ذلك.

---

(١) سورة المؤمنون – من الآية ٢٧

(٢) سورة الانبياء – الآية ٨٠.

(٣) سورة لأنفال – من الآية ٦٠.

(٤) سورة البقرة – من الآية ٢٩.

(٥) سورة النساء – من الآية ٧١.

وفي مكة : كما في مسند أَحْمَدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَابْنُ حِبَّانَ عَنْ جَابِرٍ مِثْلَهُ وَأَوَّلُهُ مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- عَشْرَ سِنِينَ يَتَّبِعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الْمَوَاسِمِ بِمِنًى وَغَيْرِهَا يَقُولُ : مَنْ يُؤْوِينِي ، مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ ؟ حَتَّى بَعَثَنَا اللَّهُ لَهُ مِنْ يَثْرِبَ فَصَدَّقْنَاهُ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ حَتَّى قَالَ : فَرَحَلَ إِلَيْهِ مِنَّا سَبْعُونَ رَجُلًا ، فَوَعَدْنَاهُ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ ، فَقُلْنَا : عَلَامَ نُبَايِعُكَ ؟ فَقَالَ: عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ يَثْرِبَ ، فَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ ، وَلَكُمُ الْجَنَّةُ . (١).

ويعقوب قال لأولاده :﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾(٢).

وقال سبحانه وتعالى لأمة محمد -ﷺ-: { فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (٣).

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري» كتاب مناقب الأنصار» باب وفود الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وبيعة العقبة (٣٦٧٩) .

(٢) سورة يوسف- من الآية ٦٧.

(٣) سورة الجمعة- من الآية ١٠ .

عُلِمَ من ذلك أن الله (ﷻ) لم يمنعنا من الاشتغال بالسبب الظاهري فلو جاء علينا الجوع فعلينا أن نأكل، قال تعالى: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ ﴾(١).

ونحتاج إلى الزوجة فنتزوج فالله ﷻ يقول لنا:﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾(١) .

وإذا رزقنا بالمولود فالله يقول:﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾(٢) وقال تعالى ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ﴾ (٣) .

من جميع الآيات السابقة عُلِمَ أن الله تعالى ما منعنا من الاشتغال، بالأسباب الظاهرية ولكن الله تعالى منعنا من الاتكال على الأسباب الظاهرية.

وكيف يُعْلَم ذلك ؟ بالامتحان، قال تعالى ﴿ الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾(٤) .

كيف الله ﷻ يمتحن عبده ؟ الله ﷻ يأتي بأوامره ، فالأوامر تصير بمقابلة الأسباب الظاهرية، فإذا امتثل الإنسان أوامر الله ﷻ وترك السبب الظاهري ، فهذا الإنسان قوى الإيمان، وإذا ترك أمر الله ﷻ بسبب الاشتغال بالأسباب الظاهرية فهذا الإنسان ضعيف الإيمان .

---

(١) سورة البقرة _ الآية ٦٠.
(١) سورة النساء - من الآية ٣
(٢) سورة البقرة - من الآية ٢٣٣
(٣) سورة الطلاق - من الآية ٦
(٤) سورة العنكبوت - الآية ٢

والإنسان مكلف أن يتحصل سبب ظاهري الذي فيه منافع وأن يتجنب الأسباب الظاهرية التي فيها مشقة، علي سبيل المثال:

١) يتجنب الجوع ويأكل الطعام .

٢) يتجنب البرد ويلبس الثياب ليتحصل على الدفء.

٣) يتجنب الظلمة ويضيء المصباح ليتحصل على النور .

سيدنا موسى عليه السلام كان عنده سبب ظاهري " العصا " ، الله تعالى قال له: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ (١) ، فأجاب موسى عليه السلام ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾ (٢).

فالعصا سبب ظاهري لتربية الغنم وصاحب الغنم ، فجاءت المقابلة ، أمر الله أمام سبب ظاهري، قال ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ﴾(٣).

لو يمتثل أمر الله عز وجل يترك سبب نافع ، ولو يشتغل في السبب النافع يترك أمر الله عز وجل .

الآن صار مقابلة أمر الله عز وجل وبين سبب ظاهري الذي فيه منافع ، فسيدنا موسى عليه السلام كان في قلبه أن النافع والضار هو الله عز وجل ، والمعز والمذل هو الله عز وجل ، وأن النجاح والخسارة من الله عز وجل ، وأن هذه الأشياء المادية لا تنفعنا ولا تضرنا إلا بمشيئة الله تعالى .

---

(١) سورة طـه – الآية ١٧

(٢) سورة طـه – الآية ١٨

(٣) سورة طـه – الآية ١٩

فجميع الأشياء المادية مثالها مثال (العصا) فالعصا لا تنفع ولا تضر إلا بمشيئة صاحب العصا ، فعندما تكون العصا على الأرض لا تنفع ولا تضر، ولكن صاحب العصا أخذ العصا وضرب الشجر وأخذ الثمر وأعطانا الثمر فنحن نشكر صاحب العصا ولا نشكر العصا .

ولو أن صاحب العصا غضب علينا، فأخذ العصا ثم ضربنا فنحن لا نعتب على العصا ونقول لماذا تضربيني يا عصا بل نعتب على صاحب العصا .

فالملك والمال والتجارة والدكاكين والمزارع والبساتين .. الخ فكل هذا مثل العصا ، والله ﷻ هو الذي يستعمل العصا .

فبعوضة واحدة عرجاء تكفى لإهلاك النمرود وذلك بعد إرادة الله تعالى.

سيدنا موسى ﵇ ما خاف عندما ترك العصا، ولكن الامتحان الصعب عندما ألقاها تحولت حية ، فهرب موسى ﵇ : ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾(١) ، وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾(٢). فجاء الأمر من الله:﴿ قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى ﴾(٣). فلما جاء أمر الله مقابلة ترك سبب نافع ، فترك السبب النافع وامتثل أمر الله.

ولما جاء أمر الله مقابلة أخذ سبب ضار فتحمل المشقة وأخذ السبب الضار.

---

(١) سورة طـه - الآية ٢٠
(٢) سورة القصص – من الآية ٣١
(٣) سورة طـه – الآية ٢١

فكذلك الله ﷻ يعطينا الأمر : ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُون﴾(١) .

أنتم أنفقوا أموالكم مثل ترك العصا، ثم تحملوا مشقة أنفسكم مثل أخذ الحية، فإذا فعلتم ذلك فالله ﷻ يفعل معكم مثل ما فعل مع موسى ﵇ ، فموسى ﵇ لما كان يلقى عصاه بإرادته فما كانت قوة العصا إلا لتربية الغنم وصاحب الغنم ، ولما ألقاها بأمر الله ﷻ صارت هذه العصا سبباً لتربية الغنم وصاحب الغنم وتربية اثنا عشر أسباطاً ، قال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾(٢)

ولما أتبعه فرعون بجنوده، قال تعالى ﴿ فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ (٣).

ماذا كان رد موسى ﵇ ..؟ ﴿ قَالَ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾(٤).

ماذا كانت النتيجة ؟: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾(١).

---

(١) سورة التوبة – الآية ٤١
(٢) سورة البقرة – من الآية ٦٠.
(٣) سورة الشعراء– الآيتان ٦٠، ٦١
(٤) سورة الشعراء – الآية ٦٢

فأصبحت العصا سبباً لحفاظة موسى عليه السلام وقومه، وصارت هذه العصا سبباً لإحياء الدين، قال تعالى ﴿ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾(٢) قيل كانوا حوالى ستون ألفاً وآمنت زوجة فرعون .

فعندما نترك أموالنا النافعة مثل ترك العصا بسبب أمر الله عز وجل ونتحمل مشقة أنفسنا مثل أخذ العصا ، فكما وعد الله عز وجل موسى ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى ﴾ (٣)

فالله عز وجل يوعدنا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٤)(٥).

---

(١) سورة الشعراء – الآيات ٦٣ : ٦٥

(٢) سورة الشعراء – الآيات ٤٥ : ٤٨ .

٣) سورة طــه – الآية ٢١ .

٤) سورة الصف – الآيات ١٠ : ١٣.

٥) انظر روائع العلامة محمد عمر البالمبوري – بقلم المؤلف.

المراجع

م	المرجـــــــــــــــــع
١	القرآن الكريم
٢	كتب التفسير: - تفسير ابن كثير. - تفسير الطبري. - تفسير البغوي.
٣	كتب الحديث: - رياض الصالحين – طبعة المكتب الإسلامي _ بيروت _ لبنان. - صحيح البخاري _ طبعة دار الحديث بالقاهرة. - صحيح مسلم شرح النووي – مطبعة الهيئة العامة للشئون الأميرية بالقاهرة ١٩٩٦، ١٤١٧ هـ. - سنن الترمذي – دار ابن الهيثم _ القاهرة (الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م، ١٤٢٥ هـ). - سنن أبي داود _ طبعة دار الحديث بالقاهرة. - سنن النسائي بحاشيته السندي والسيوطي – طبعة دار الحديث بالقاهرة(الطبعة الأولى). - سنن ابن ماجة _ طبعة دار الحديث بالقاهرة.

	- سنن الطبراني. - مستدرك الحاكم – طبعة دار الكتاب العربي _ بيروت _ لبنان. - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي (المكتبة الشاملة). - التوكل على الله لابن أبي الدنيا(المكتبة الشاملة). - خلق أفعال العباد للبخاري(المكتبة الشاملة). - مرقاة المفاتيح – شرح مشكاة المصابيح لعلى الملا.
٤	كتب السيرة: - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي – طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة. - حياة الصحابة للكاندهلوي _ طبعة دار المعرفة _ بيروت _ لبنان. - الخصائص الكبرى للسيوطي _ موقع إسلام ويب على شبكة النت.
٥	كتب خاصة بالدعوة والتبليغ: - روائع العلامة محمد عمر البالمبوري بقلم المؤلف.مطبعة دار السلام ميت غمر. - كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله بقلم المؤلف مطبعة دار السلام ميت غمر. - الصفات الست في ضوء الكتاب والسنه وفهم سلف الأمة – بقلم/ المؤلف.

٦ كتب في العقيدة:

- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز. دار البيان العربي _ الأزهر _ درب الأتراك _ القاهرة _ جمهورية مصر العربية.
- فقه القلوب للشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد الله للتويجري _ دار أصداء المجتمع – القصيم – بريدة – المملكة العربية السعودية. الطبعة الثالثة.

٧ الفوائد لابن القيم.

٨ المدهش لابن الجوزي.

مُحتويات الكتاب

بحمد الله تم

الفراغ

من كتاب النفي والإثبات في شريعة أهل الإيمان

يوم الثلاثاء

الموافق الثلاثون من شهر رمضان عام ١٤٤٠ هـ

عنوان المؤلف

كفر ميت العز – مركز ميت غمر – محافظة الدقهلية

جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني للمؤلف

Emam2030@gmail.com

كتب للمؤلف

١	اليقين في معرفة رب العالمين
٢	اليقـين والتوكـل على الله (مسألة الرزق)
٣	الحق المبين في معرفة الملائكة المقربين
٤	كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله
٥	فضيلة الشيخ فريد العراقي (رحمه الله)
٦	روائع العلامة محمد عمر البالمبوري
٧	الفهم العميق في الدعوة إلى الله (من كلام الشيخ الأنصاري)

٨	فرضية الدعوة إلى الله (الشيخ عبد الوهاب)
٩	نصيحة الدعاة من كلام الشيخ عبد الوهاب رحمه الله)
١٠	روائع العلامة أبي الحسن الندوي
١١	الباعث على الاستقامة في الدعوة إلى الله
١٢	بصائر دعوية (من كلام الشيخ سعيد أحمد خان)
١٣	الأنوار النعمانية في الدعوة الربانية(من كلام الدكتور نعمان أبو الليل) (أربعة مجلدات)
١٤	التاج الجامع للأصول في جهد الرسول (سبعة مجلد)
١٥	صلاح البيوت في جهد الرسول (اثنين مجلد)
١٦	مشكاة الأحباب في جهد التبليغ والدعوة
١٧	الكلام البليغ في تأييد أهل التبليغ (فتاوى العلماء)
١٨	المنتقي من كلام أهل التبليغ والدعوة (اثنين مجلد)
١٩	الأمراء الثلاثة لجماعة التبليغ والدعوة (اثنين مجلد)
٢٠	كيف تسبح في قلوب الخلق من كلام الشيخ محمد الملا (اثنين مجلد)
٢١	أحلى الكلام(في مناجاة ذي الجلال والإكرام)
٢٢	لماذا لا نتكلم في السياسة؟
٢٣	النفي والإثبات في شريعة أهل الإيمان (كتابنا هذا)
٢٤	الصفات الست في ضوء الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة وعلماء

	ومشايخ التبليغ والدعوة	(ثلاثة مجلدات)
٢٥	جمال الأقوال في ضرب القصص والأمثال	(مجلد)

تليفون المؤلف/ ١٥٨٢٤٦ ٠١٠٦٤ / ٠٠٢